عبد الله بن عباس

أ.د/ أبو ضيف مجاهد حسن
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فإن عبد الله بن عباس واحد من آل بيت رسول الله -ﷺ-.. ومن خواصهم.. ومن المقربين إليه- كما أنه واحد من أصحاب رسول الله -ﷺ-، بل ومن أزكاهم.. ومن أرفعهم شأنا.. فقد تتلمذ كغيره من أصحاب رسول الله -ﷺ- على يد رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وتزود بنوره.. في هذه المدرسة الإيمانية.. التى خرجت الرجال.. والأبطال والعلماء والفقهاء.

وعبدالله بن عباس.. وإن كانت صحبته لم تطول مع رسول الله -ﷺ-.. إلا أنه لازم ابن عمه رسول الله -ﷺ- حتى الأنفاس الأخيرة من حياته، وكان يدخل بيته -ﷺ- فى وقت لم يتح لغيره، بحكم أن ميمونة بنت الحارث العلالية كانت خالته، وكان هو ما زال غلاما حدث السن..

حتى إنه كان ينام عند خالته أحياناً.. ويكون عندها رسول الله -ﷺ- في ليلتها.. نعم لقد كان ابن عباس شخصية فريدة، تميزت بأمور كثيرة حتى فاق أقرانه- بل وغيرهم ممن هم أكبر منه..

فكـــان قمـــة.. فقها.. وتفسيرا.. وفتيا.. وعلما.. كما كان بطلا شـــجاعاً.. وســـيما جميلاً.. يتميز بلباسه الحسن.. وكان صاحب رأى.. وحكمه.. وصاحب سياسة.. وقد لازم عمر بن الخطاب حياته.. وكان جل علمـــه منه.. فكان من المقربين إليه.. كما كان بحرا.. وحبراً.. لا تعييه مسألة.. حضر فتح مكة.. وما بعدها.

وقـــد دعـــى لـــــه رسول الله -ﷺ- بقولـــه: (اللهم فقهه فى الديـــن.. وعلمـــه الـــتأويل) كما كان ترجمان القرآن، قال فيه عطاء بن ربـــاح: مـــا رأيـــت قط اكرم من مجلس ابن عباس- أكثر فقها- وأعظم خشـــية.. إن أصـــحاب الفقه عنده.. وأصحاب القرآن عنده.. وأصحاب الشـــعر عـــنده.. يصدرهم كلهم من واد واسع.. لقد كان ابن عباس من الإســـلام بمـــنزل.. وكـــان من القرآن بمنزل وكان يقوم على منبرنا هذا فـــيقرأ الـــبقرة وآل عمـــران.. فيفســـرهما آية آية.. هكذا يقول الحسن البصري.

نعـــم كـــان ابن عباس حبر الأمة.. ومفسر كتاب الله.. روى عن رســـول الله-ﷺ- وعن جماعة من الصحابة... وأخذ عنه خلق كثير.. مـــن الصـــحابة.. ومـــن التابعيـــن.. ولـــــه مفردات ليست لغيره من الصحابة.. لكمال عقله.. وسعة فضله.. ونبل أصله..

لقـــد اخـــترق الإسلام شغاف قلب ابن عباس.. ولم يبلغ العاشرة من عمره.. وأقرانه لا يعنيهم من أمر العقيدة شئ.. بل يقضون أوقاتهم فـــى اللهو واللعب.. وكان وهو في مقتبل شبابه يطرق أبواب أهل العلم

بـــأدب وتواضـــع جـــم ليأخذ عنهم.. متحملاً فى سبيل ذلك وطأة الحر.. ولذعة البرد دون ضجر..

حـــتى صار فيما بعد.. يتصدر المجالس ويجلس بين يديه طلاب العلـــم.. حتى الكبار من الصحابة.. وصار ملجأ ومقصداً.. لحل معضلات المســـلمين.. وحـــتى صـــار خطيبا مصقعا يأخذ بمجامع القلوب، ويأتى بالمقصود في أجمل بيان..

وكان عبدالله بن عباس فارساً في ميدان القتال.. وسياسياً بارعاً يعـــرف مـــن أيـــن تُأكل الكتف.. كما كان مناقشاً ومحاوراً قوى الحجة والبرهان يقفل على خصمه منافذ القول..

وكـــان حجـــة فى اللغة والأدب، والبيان، كما كان شاعراً تجرى على لسانه أفانين القول وكان عف اليد.. عف اللسان.. فقد جمع عبدالله بـــن عباس جل الفضائل.. إن لم يكن جميعها، وليس هذا غريبا على ابن عـــم رســـول الله -ﷺ- والـــذى كان أقرب الناس إليه.. ولقد كان ابن عباس ملكا يمشى على الأرض يشع نوراً، وعلماً، وفقها، وهداية..

نعم كان ابن عباس قدوة للمسلمين معه ، وبعده..

وكان لسان حاله يقول: أنا الصورة العملية التطبيقية لمنهج الله فـــى الأرض.. وكـــأنى به وبالحديث المروى عن أم المؤمنين عائشة- رضى اله عنها- حين سُئلت عن أخلاق رسول الله -ﷺ- فقالت: (كان خُلقه القرآن)..

وهكـــذا كان ابن عباس -رضي الله عنه- ملأ الدنيا علماً وفقهاً.. وانتفع المسلمون بذلك كله ومازالوا...

فهذه مقدمة موجزة عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- الذى استكف ببصره في أخريات حياته فصبر صبراً جميلاً.. ورفض أن تزال من على عينيه الماء.. حتى لا يصلى وهو قائم أو جالس بعض الأيام..

فكانت حياته مسكا فى الظاهر والباطن.. حتى إن النساء كن إذا شـــممن رائحة المسك يقولون: هل مر بائع المسك -أم- مر ابن عباس..

فلقـــد صـــنع ابـــن عـــباس كثيراً من طرق العلم، والمعرفة، والأخلاق، والـــبطولة... والتضحية، والإيثار.. والترفع عن الدنايا.. فجزاه الله عن أمة الإسلام خير الجزاء...

وها نحن نتحدث عن هذه الشخصية بإيضاح مبسط تبيانا لها في فصول متعددة..

فهيا بنا إلى:

عبدالله بن عباس

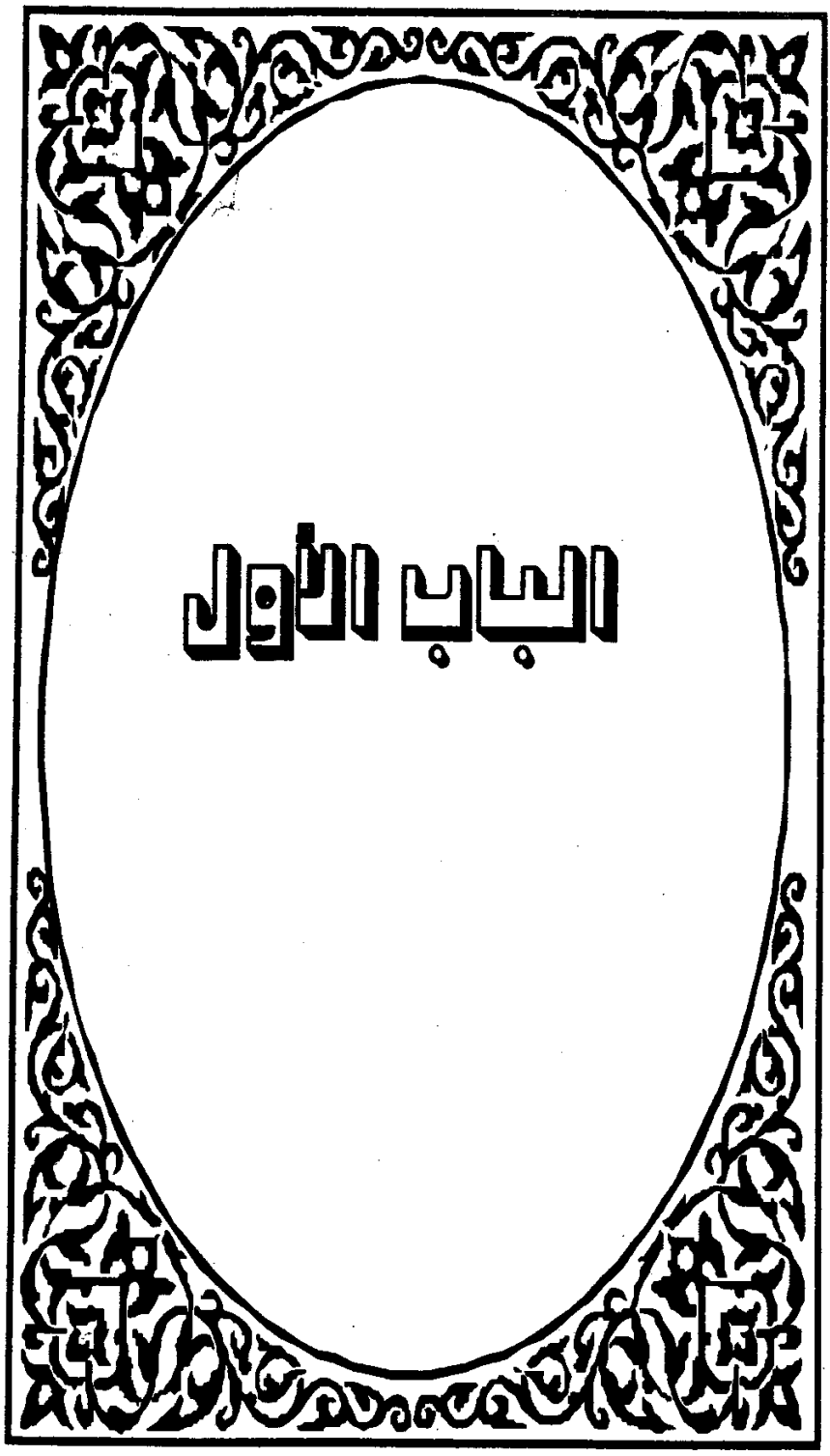
الباب الأول

فمن هو عبد الله بن عباس؟؟؟

يقول ابن حجر في الإصابة:هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي- أبو العباس- ابن عم رسول الله -ﷺ-.

وأمه: أن الفضل- لبابة بنت الحارث الهلالية هـ ، وتدعى لبابة الكبرى أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي -ﷺ- وشقيقتها أسلمت قبل الهجرة.. وقيل بعدها.

وقال ابن سعد: أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة.. ومما يؤيد أنها أسلمت قبل الهجرة ما ذكره ابن عباس نفسه حيث قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، والمستضعفون هم الذين عذرهم الله من وجوب الهجرة عليهم والفرار بدينهم من دار الكفر.هـ

من هنا يكون العباس عديلا لرسول الله -ﷺ- من حيث هذه الزيجة، حيث ميمونة زوج رسول الله -ﷺ- ولبابة أخوات أشقاء..

وقد شهدت أم الفضل مع رسول الله-ﷺ- حجة الوداع، وهى التى بعثت إلى رسول الله فى هذه الحجة في اليوم التاسع من ذى الحجة بقدح فيه لبن.. فشربه رسول الله-ﷺ- أمام الناس ليبين لهم أنه غير صائم.

ولأم الفضـــل: أختان من أمها أخريان وهما: سلمى وقد تزوجها حمزة بن عبدالمطلب.. وأسماء وقد تزوجها جعفر بن أبى طالب.. شهيد مؤتـــة، ثـــم تـــزوج بها أبو بكر -رضي الله عنه- ثم تزوج بها بعده على بن أبى طالب -رضي الله عنه- وهى أسماء بنت عميس الخثعمية..

فهـــؤلاء الأخـــوات الأربـــع كلهن قد أسلمن.. وتزوج بهن خيار الناس..أولهم رسول الله -ﷺ- .

وفـــى الإصابة أيضاً: عن ابن عباس عن النبي -ﷺ- الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفضل، وميمونة، وأسماء، وسلمى . هـــ

(جـــ ٨ صـــ ٢٦٦ وما بعدها)

وأيضاً لأم الفضل: أخت من أبيها.. هى لبابة الصغرى.. وهى أم خالد بن الوليد- رضى الله عنها- والصحيح أنها أسلمت.. وعاشت على ما بعد وفاة ابنها خالد بن الوليد. هـــ (جـــ ٨ صـــ ١٧٨ الإصابة)

فخـــالد إذن هو ابن خالة لابن عباس وابن أخت ميمونة- رضى الله عنهم أجمعين. هـــ (البخارى حـــ ٦ صـــ ٢٠٠)

فأم الفضل أم عبدالله بن عباس هى إذاً:

مـــن بيـــت شـــريف قـــد اصهر إلى أشراف قريش في الجاهلية والإســـلام.. فأنجـــب سادة قادة.. كانوا من أعظم الرجالات في الجاهلية والإسلام، الذين يعتز بهم الإسلام.هـــ

أما أبوه:

فهـو العباس بن عبدالمطلب ، عم رسول الله -ﷺ- كان يكنى بأبـي الفضـل.. ولـد قـبل ميلاد النبي -ﷺ- بسنتين.. كان إليه في الجاهلـية السقاية، وأقره عليها الإسلام، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم.. حضرها ليستوثق لابن أخيه من الأنصار.. حفاظاً عليه.. وشـهد بدراً مع المشركين.. وكان قد خرج إليها مكرها.. فأسر فافتدى نفسـه.. حيـث لا قرابة مع غير الإيمان ورجع إلى مكة فيقال إنه أسلم وكـتم إسلامه عن قومه بأمر رسول الله -ﷺ- وصار يكتب إلى النبي -ﷺ- بالأخبار ثم هاجر قبيل الفتح.. والتقى برسول الله- عليه الصلاة والسلام- في الجحفة.. ورجع معه.. وشهد الفتح.

(سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٦٤٦)

وورد فـي بعـض الأخبار بما يشعر أن إسلامه كان قبل غزوة بـدر، فقد أخرج ابن إسحاق عن عكرمة قال: قال أبو رافع مولى رسول الله -ﷺ- : كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس.. وأسلمت أم الفضل.. وأسلمت.. وكان العباس يهـاب قومـه وركـه خلافهم.. وكان يكتم إسلامه.. وكان ذا مال كثير متفرق في قومه. هـ (حياة الصحابة ٣٨٧/٤)

والمعروف أن أبا رافع أسلم قبل بدر..

وثبت العباس مع رسول الله-ﷺ-يوم حنين قال في حقه رسول

الله-ﷺ-:(من آذى العباس فقد آذاني فإنما عم الرسول صنو أبيه) رواه الترمذي. والصنو: المثل.

وكان عليه الصلاة والسلام.. يجله ويعظمه.. وينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول: هذا بقية آبائي.هـ

وكان العباس ذا رأى وعقل تام واف.. وكان سمحاً جواداً.. روى سعيد بن المثيب عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله -ﷺ- للعباس: (هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفا وأوصلها)هـ (رواه الإمام أحمد)

وكان صحابة رسول الله -ﷺ- يعترفون بفضله.. ويأخذون برأيه.. وكان عمر بن الخطاب يستسقى به إذا قحط الناس.. ثبت في صحيح البخارى عن أنس-رضي الله عنه- أن عمر خرج يستسقى.. وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال: (اللهم إنا كنا إذا قحطنا.. توسلنا إليك بنبيّنا -ﷺ- فتسقينا.. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون) (البخاري ٢/١٦)

وقد توفى العباس بالمدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع.هـ (الإصابة لابن حجر - ٤/٣٠)

ولادة ابن عباس: يقول ابن الحجر: ولد عبدالله بن عباس وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح.. ففي الصحيحين

عنه -رضي الله عنه- أقبلت، وأنا راكب على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت من الاحتلام، والنبي -ﷺ- يصلي بمنى.. إلى غير جدار.. الخ.

وفي الصحيح عن ابن عباس أيضا: (قُبض النبي -ﷺ- وأنا ختين). وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك..هـ، والختان كما هو معلوم طهارة الرجل بما نسميه نحن الآن.

وقال الواقدي: لا خلاف عند أئمتنا أنه ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم وأنه كان له عند موت النبي -ﷺ- ثلاث عشرة سنة.هـ ، والشعب: هو شعب: أى الناحية التى يسكن فيها بنو هاشم فحاصرتهم قريش ثلاث سنين حتى أكلوا ورق الشجر.. وانضم كافرهم إلى مسلمهم.. تعصبا لرسول الله -ﷺ-، وكان الشعب.. وهو مكان خارج مكة.. وقد اجتمعت كلمة قريش ضد بنى هاشم وبنى المطلب على التضييق عليهم.. ومنعهم من حضور الأسواق.. وأن لا يزوجوهم.. وأن لا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا لهم رسول الله -ﷺ- للقتل.هـ

(السيرة الحلبية - ٤٤٩/١ بتصرف)

وقد جاءت رواية عن عمرو بن دينار قال:

ولد ابن عباس عام الهجرة.. وهذا يقتضى أن عمره حينما توفى رسول الله -ﷺ- عشر سنين وعن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفى رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وأنا ابن عشر

سنين مختون.. زاد ابن هشام.. وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله -ﷺ- ، قلت: وما المحكم؟ قال: المفصل.هـ أى قصار السور.

(البداية والنهاية لابن كثير - ٨/٢٩٥ - ٢٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٢٢٤)

قال مسلم بن خالد الزنجى المكي.. عن أبى مجاهد عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله -ﷺ- فى الشعب.. جاء أبى إلى رسول الله -ﷺ- فقال له: يا محمد أرى أم الفضل.. قد اشتملت على حمل.. يقصد أم- عبدالله بن عباس- فقال- عليه الصلاة والسلام-: لعل الله أن يقر أعينكم. قال: فلما ولدتني أتى بي رسول الله -ﷺ- وأنا في خرقة.. فحنكنى بريقه..هـ ، وفي رواية أخرى فقال رسول الله-عليه الصلاة والسلام-: لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام.. فولدت عبدالله ابن عباس. وقد حقق الله رجاء رسول الله -ﷺ- فكان رجلاً تبيض به الوجوه.هـ

قال الواقدي: إن الإجماع على هذا القول عند أهل العلم.

ثم قال- الواقدى- أيضا: لا خلاف أنّ عبدالله بن عباس ولد فى الشعب وبنو هاشم محصورون.. فولد قبل خروجهم منه بيسير.. وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.هـ

واحتج الواقدي على قوله بأن ابن عباس كان: قد ناهز الحلم عام حجة الوداع.. وحجة الوداع كانت فى السنة العاشرة.. ولم يلبث

بعدهـا رسـول الله -ﷺ- إلا قلـيلاً ثم توفى.. قيل عاش بعدها واحداً وثمانين يوماً. هـ (سير أعلام النبلاء - ٢٢٦/٣)

عبدالله بن عباس وأخوته:

كـان عـبدالله بـن عـباس واحد من عشرة أخوة ذكور من أم الفضـل- للعباس.. وقد كان بنو العباس عشرة:. وهم الفضل، وعبدالله، وعبـيدالله، ومعـبد، وقـثم، وعبدالرحمـن، وكثير، والحارث، وعوف، وتمـام.. وقـال أبـو عمـر: لكل ولد العباس رؤية.. والصحبة للفضل وعبدالله..

كما يقول ابن حجر فى الإصابة ٥١/٢: وهذا يقضى أنه لم يكن أحد أكبر من عبدالله إلا الفضل الذى كان يكنى به أبوه، وأمه.

كما يقول ابن حجر فى الإصابة: أن العشـرة ليسـوا كلـهم من لبابة- أم الفضل- فقـد قال إن تمام أمه أم ولد. (١٩٤/١) ، وأن كثير أمه رومية.(الإصابة ٣١٧/٦).. أيا كان الأمر فهم عشرة.

والعباس:

عـم رسول الله -ﷺ- وبنوه يقال لهم العباسيون.. وهم بطن مـن بنى عبدالمطلب، وكان له من الولد كما يقول صاحب سبائك الذهب فـي معرفة قبائل العرب: تسعة أولاد وهم الفضل، وعبدالله "حبر الأمة"، وعبـيد الله، وقـثم، وعبدالرحمـن، ومعبد، وتمام، وكثير، والحارث.. والسـتة الأولـون أمهم لبابة بنت الحارث.. من بنى هلال بن عامر بن

صعصـــعة.. ويقال ما رؤى قبور إخوته أشد تباعداً من أربعة من بنيه.. عــبدالله بــن عباس مات بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، وقثم بسمرقند، ومعبد بإفريقية.هـ

(سبائك الذهب لمحمد أمين البغدادي السويدي – ٧١ ، والنوادر للقالي ١٩٩/٣)

وعبد الكلبي قال:

أبعد قبور أخوة على الأرض قبور– أولاد أم الفضل الهلالية– أم ولد العباس بن عبدالمطلب: واحد بالمدينة، وآخر بالطائف، وآخر بالشام مات في طاعون عمواس في سلطان عمر –رضي الله عنه– ، وعبدالله بن العباس الحبر دفن بالطائف، وصلى عليه محمد بن على ، وآخر بإفريقية، وآخر بسمرقند، والفضل بن العباس رديف رسول الله–ﷺ– مات في طاعون عمــواس بالشـــام، وعبيد الله ابن عباس الجواد مات بالمدينة، وقثم بن العباس.. سبيه النبي –ﷺ– مات بسمرقند زمن معاوية في إمارة سعيد بن عثمان، وعبدالرحمن بن العباس قتل بإفريقية زمن عمر –رضي الله عنه–.هـ

(النوادر لأبي على القالي – ١٩٩/٣)

مهمـــا قـــيل في زمن إسلام العباس- أبيه- فإن الروايات تتحدث بتقديم إسلام عبدالله بن العباس على غزوة الفتح بزمن غير يسير.. جاء فـــي صحيح البخاري عن ابن أبى مليكة أن عبدالله بن العباس تلا: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾

قال: كنت أنا وأمى من المستضعفين. هـ(البخـــاري - ١٨١/٥)

وجـــاء في صحيح البخاري تعليقاً.. قال: كان ابن عباس- رضى الله عـــنهما- مع أمه من المستضعفين ولم يكن مع أبيه على دين قومه، وقال- أى أبى عبدالله بن العباس: الإسلام يعلو.. ولا يعلى.

(البخاري - ٩٦/٢ ، فتح الباري ١٤٣/٣)

هجرته - رضى الله عنه:

مـــع تقـــدم إسلامه.. وإسلام أبيه، فإنه لم يتح له أن يهاجر إلا قبـــيل فتح مكة، وذلك بعد أن أسلم أبوه.. فهاجرا معاً، فاتفق لقياهما مع النبـــي -ﷺ- بالجحفة وهو ذاهب لفتح مكة.. فرجعا وشهدا معه فتح مكة. هـــ (البداية والنهاية ٢٩٦/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٥٥/٣)

وكـــان فـــتح مكـــة ســـنة ثمان من الهجرة صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت ن رمضان.هـــ

وعلـــى هـــذا يكون انتقال ابن عباس إلى دار الهجرة سنة الفتح وقـــد بايعـــه رســـول الله-ﷺ- بعد أن هاجر، وهو بعد صغير لم يبلغ الحلم..

ومن هنا- قالوا: يجوز أخذ العهد على الصغار بأن يلتزموا بأوامر ربهم.. والدفاع عن عقيدتهم، كما يجوز أن يؤخذ على الكبار من الرجال والنساء..

أخرج الطبراني.. عن محمد بن على بن الحسين-ﷺ- أن النبي-ﷺ- بايع الحسن والحسين، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر -ﷺ- وهم صغار لم يبقلوا- أى لم تنبت لحاهم- ولم يبلغوا.هـ

(حياة الصحابة - ٣٧٩/١)

صفته:

كان -ﷺ- وسيماً .. جميلاً .. مديد القامة.. مهيباً كامل العقل.. ذكى النفس.. من رجال الكمال.هـ (سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٣)

قال أبو عبدالله ابن منده: كان أبيض طويلا.. مشربا صفرة جسيما صبيح الوجه له وفرة.. يخضب بالحناء..

قال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس. هـ

وقال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس.. فإذا نطق.. قلت أفصح الناس.. فإذا تحدث.. قلت: أعلم الناس. هـ

(سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٣)

ولقد كان عبدالله بن عباس:

رجلا طويلا بين الطول.. وكان يقال إن على بن عبدالله بن

العـباس بن عبدالمطلب كان إلى منكب عبدالله- أى يوازى كتف أبيه.. وكـان عـبدالله- إلى منكب العباس- أى رغم طولـه يوازى فقط كتف أبيه العباس.. وكان العباس إلى منكب عبدالمطلب أى أنه بدوره يوازي فقـط فـي الطول كتف عبدالمطلب، ولقد كان على بن عبدالله فارعا فى الطول فالسلسلة .. طوال ثم طوال..

قال ابن حجر فى الإصابة:

وروى أبـو الحسن المدايني عن سحيم بن حفص عن أبى بكرة قـال: قـدم عليـنا ابن عباس البصرة وما فى العرب مثله حشما وعلما وثيابا وجمالا وكمالاً..هـ

وأخرج الطبراني بسنده عن النعمان .. حسان بن ثابت قال:

كانـت لـنا عند عثمان- أو غيره من الأمراء- حاجة فطلبناها إلـيه- لجماعـة مـن الصـحابة.. منهم ابن عباس وكان حاجة صعبة شـديدة.. فاعـتل علينـا- فـراجعوه.. إلى أن عذروه وقاموا- إلا ابن عباس.. فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حاجة فلم ير بداً من أن يقضى حاجتنا فخرجنا من عنده.. وأنا آخذ بيد ابن عباس..

فمـررنا على أولئك الذين كانوا عذروه.. وضعفوا.. فقلت: كان عبدالله أولاكم بهم قال: أجل، فقلت أمدحه:

إذا قـال لم يـترك مقـالا لقـائل ... بلفظـيات لا يرى بينهما فصـلا
كفى وشفى ما في الصدور ولم يدع ... لذى إربة فى القول جداً ولا هـزلاً
سمـوت إلى العلـيا بغـير شبيهة ... فقلـت ذراهـا لا دنـيا ولا عـلا

وقـال أبو عوانة عن أبى حمزة- كان ابن عباس إذا قعد- أخذ مقعـد رجليـن.. وعـن ابن عمر أنه كان يقرب ابن عباس ويقول: إنى رأيـت رسـول الله -ﷺ- دعاك.. فمسح رأسك وتفل في فيك.. وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل. هـ

وعـن سـعيد بن جبير عن ابن عباس أنه: سكب للنبي -ﷺ- وضـوا عـند خالـته ميمونة فلما فرغ قال من وضع هذا؟ فقالت: ابن عباس.. فقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.هـ

وروى المبرد عن التوزى قال:

كـاف علـى بن عبدالله بن عباس بالبيت.. وهناك امرأة عجوز قديمة.. وعلى قد فرغ الناس كأنه راكب والناس مشاة.. فقالت: من هذا الـذى فرغ الناس؟ فقيل: على بن عبدالله بن العباس ، فقالت: لا إله إلا الله- إن الـناس لـيرذلون.. عهـدي بالعباس يطوف بهذا البيت.. كأنه فسطاط أبيض.. (الكامل للمبرد - ٢/٢٩)

وعـن ابـن جريج قال: كنا جلوسا مع عطاء ابن أبى رباح في المسـجد الحـرام فـتذكرنا ابـن عـباس وفضله وعلى بن عبدالله في الطـواف.. وخلفـه ابنه محمد بن على فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههمـا فقـال عطاء: وأين حسنهما من حسن عبدالله بن عباس. ما رأيـت القمر ليلة أربع عشرة وأنا في المسجد الحرام طالعا من جبل أبي قبـيس إلا ذكرت وجه ابن عباس.. ولقد رأيتنا جلوسا معه فى الحجر..

إذ أتاه شيخ قديم يدري.. من هذيل يهدج على عصاه فسأله عن مسألة فأجابه.. فقال الشيخ لبعض من في المجلس: من هذا الفتى؟ فقالوا: هذا عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب فقال الشيخ: سبحان الذى مسح حسن عبدالمطلب إلى ما أرى.. فقال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبى يقول.. كان عبدالمطلب أطول الناس قامة.. وأحسن الناس وجها..ما رآه قط شئ إلا أحبه.هـ (أخبار مكة المشرفة للأزرقي - ٢٣١/١)

لباسه:

كان عبدالله بن عباس يحب أن يظهر أثر نعمة الله عليه.. فكان يتأنق في مظهره وملبسه دون أن يتجاوز الحد المشروع.. وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فلقد كان ابن عباس يلبس الثياب ذات الأثمان الغالية.. ويتطيب.. ويحسن من مظهره ما قدر..

عن أبى الجويرية قال: رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقه.. أو فوق ذلك.. وعليه قطيفة رومية.. وهو يصلي.. وعن كريب قال: رأيت ابن عباس يقيم بعمامة سوداء فيرخى شبرا بين كتفيه ومن بين يديه، وعن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف درهم.. وعن عكرمة: كان ابن عباس يلبس الخز، ويكره الصمت. هـ (سير أعلام النبلاء - ٢٣٨/٣)

وروى أيضاً عن عكرمة قال: كان ابن عباس إذا مرّ في الطريق قالت النساء على الحيطان: أمر المسك أم مر ابن عباس. هـ

(المصدر السابق)

والصمت هو الثوب الذى جميعه إبريم لا يخالطه قطن ولا غيره.

عيشته في بيته:

عن الضحاك قال: ما رأيت بيتا أكثر خبزا ولحما من بيت ابن عباس.هـ (سير أعلام النبلاء – ٣/٢٣٥)

أولاده:

كان له من الأولاد جملة أكبرهم العباس وبه يكنى ، وعلى أبو الحلفاء وهو أصغرهم.. والفضل، ومحمد، وعبيد الله، ولبابة، وأسماء،هـ (سير أعلام النبلاء – ٣/٢٢٥)

عبادته وورعه:

كان عبدالله بن عباس في حياته الأولى يعيش فى كنف رسول الله -ﷺ- واطّلع على عبادته .. وخشيته من الله تعالى، وكان يتلقى دروسا عملية فى عبادة الله، والإخلاص له.. ثم صحب من بعده عمر بن الخطاب أمير المؤمنين.. التقى المتعبد الورع.. فلا عجب بعد ذلك أن ينشأ محبا لعبادة الله.. مقبلاً عليها.. خائفاً منه سبحانه.. تاركا للشبهات.. وقافا عند حدود الله..

ولقد وصف كثير ممن عايشه، واتصل به عبادته وورعه وخشيته من الله تعالى.. وها نحن نسوق نماذج من صور عبادته - رضي الله عنه -هـ

عن عبدالله بن أبى مليكه قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلى ركعتين .. فإذا نزل قام شطر الليل .. ويرتل القرآن حرفا حرفا ، ويكثر في ذلك من التسابيح والنحيب.هـ

(سير أعلام النبلاء - ٣٣٦/٣)

وعن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: قال ابن عباس ما ندمت على شئ فاتنى في شبابي إلا أنى لم أحج ماشيا.. ولقد حج الحسن بن على خمسا وعشرين حجة ماشيا.. وإن النجائب لتقاد معه.. أى النوق- الجمال- ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات.. حتى إنه يعطي الخف.. ويمسك النعل.هـ أى تصدق بثلث ماله ثلاث مرات.هـ

(سير أعلام النبلاء - ١٧٣/٣)

وعن سماك أن ابن عباس سقط على عينيه- الماء- فذهب بصره فأتاه هؤلاء الذين ينقيون العيون.. ويسيلون الماء فقالوا: خل بيننا وبين عينك.. فسيل ماءهما.. ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلى- يعنى قائما- قال: لا والله.. ولا ركعة واحدة.. إنى حدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدا لقى الله -عز وجل- وهو عليه غضبان.هـ

(صفة الصفوة ٧٥٦/١ ، حياة الصحابة ٥٤١/٣)

كأنـــه -ﷺ- مـــن عظمة ورعه كان يعتقد أن عدم القيام بركن مـــن أركان الصلاة على هيئته الأصلية إخلال بالصلاة كلها، ولا يرى أن مـــداواة عينـــيه.. ســـبب يبيح لـــه أن يفعل ذلك.. وهذا منه مبالغة فى الورع.. وإلا فيجوز له أن يصلى جالساً عند الضرورة.هـ

وكان -ﷺ- لا يحيد عن ما أمر به رسول الله -ﷺ- وإن لم يكـــن مـــن الواجبات فقد أخرج أحمد عن بكر بن عبدالله أن إعرابيا قال لابـــن عـــباس- رضـــى الله عنهما-: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعســـل، وآل فلان يسقون اللبن.. وأنتم تسقون النبيذ؟ أمن بخل بكم أم حاجة؟

فقال ابن عباس: ما بنا من بخل ولا حاجة ، ولكن رسول الله -ﷺ- جاءنـــا ورديفـــه أســـامة بن زيد- رضى الله عنهما- فاستسقى فســـقيناه مـــن هـــذا- يعنى نبيذ السقاية فشرب منه وقال: أحسنتم هكذا فاصنعوا.هـ

وعـــن جعفر بن تمام قال: جاء رجل إلى ابن عباس- رضى الله عـــنهما- فقـــال: أرأيـــت مـــا تسقون الناس من نبيذ هذا الزبيب؟ أسنة تتـــبعونها- أم تجـــدون هـــذا أهون عليكم من اللبن والعسل؟ فقال ابن عـــباس: إن رســـول الله -ﷺ- أتـــى العباس وهو يسقى الناس فقال: اســـقنى .. فدعـــا العباس بعساس من نبيذ.. فتناول النبي -ﷺ- عسا

فيها فشرب ثم قال: أحسنتم هكذا اصنعوا. هـ

قال ابن عباس: فما يسرني أن سقايتها جرت على لبنا وعسلا وكان قول رسول الله -ﷺ- : أحسنتم هكذا اصنعوا.هـ

(حياة الصحابة ٢/٦٥٣ - ٦٥٤)

والنبيذ هنا هو الماء الذى يطرح فيه شئ من التمر أو الزبيب ليكتسب حلاوة.. إلا أنه لا يصل إلى درجة الإسكار.. وإلا كان حراما قل أو كثر.. هـ

وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: يا ابن عباس كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم.هـ

(سير أعلام النبلاء - ٣/٣٣٦)

ولقد كان عبدالله بن عباس: تأخذه في عبادته لله خشية منه ورقة فتندفع عيناه بالبكاء.. ولقد قال- عليه الصلاة والسلام- سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر: رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.هـ

وهكذا كان ابن عباس -رضي الله عنه- .

نعم- لابن عباس .. كان لا يرى أن العبادة فى صلاة وزكاة وصياما وحجا.. بل كان يرى أن العبادة أيضا هي العمل الذى يكون فيه العبد قريبا من خالقه.. فقد تتمثل العبادة فى عيادة مريض.. أو في قضاء حاجة مسلم.. أو فى كلمة طيبة.. ولعل شيئا من ذلك يفوق في

الأجـر عـبادة الـنوافل.. ومل حاجة تقدر بقدرها.. فتفريج كربة مسلم مـثلا.. أو إنقاذ جريح.. أو غريق.. أو نحو ذلك ففيه عظيم الأجر حتى ولو كان ذلك في حيوان.. ففى كل كبد رطبة أجر..

فقـد أخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس- رضى الله عنهما- أنـه كان معتكفاً في مسجد رسول الله -ﷺ- فأتاه رجل.. فسلم عليه.. ثـم جلس..فقال لـه ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزيناً، قال: نعم يا ابن عم رسول الله.. لفلان على حق ولاء.. وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه...

قـال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت، قال: فانتقل- أى لبس نعله ثم خرج من المسجد فقال لـه الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ أى: مـن الاعتكاف.. قال: لا.. ولكنى سمعت صاحب هذا القبر -ﷺ- والعهـد به قريب.. فدمعت عيناه وهو يقول: من مشى فى حاجة أخيه، وبلـغ فـيها كان خيرا لـه من اعتكاف عشر سنين.. ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى.. جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق.. أبعد مما بين الخافقين.هـ (حياة الصحابة - ٢/٧٥٣ ، الترغيب والترهيب ٢/٢٧٢)

ومعنى بلغ فيها: أى قضاها.

والخافقين: هما طرفا السماء والأرض.. وقيل المشرق والمغرب

وفـي مسـند أحمد: عن عمرو بن دينار أن كريبا أخبره أن ابن عـباس قـال: صليت خلف النبي-ﷺ- فأخذ بيدي فجرنى حتى جعلنى

حذاءه.. فلما أقبل على صلاته حبست..فلما انصرف قال لي: ما شأنك.. فقلت: يا رسول الله أوينبغي لأحد أن يصلى حذاءك وأنت رسول الله.. قال فدعا لى أن يزيدنى الله علما وفهماً.. وفى رواية أخرى عن عمرو بن دينار عن طارق عبد بن عباس دعا لى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فمسح على ناصيتي، وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب.

الباب الثاني

الفصل الأول

عبدالله بن عباس والجهاد

معلوم أن شخصية المسلم شخصية متكاملة- كما أن الإسلام دين كامل لا يتجزأ.. فكذلك المسلم.. لا يشغله شأن عن شأن.. فهى شخصية عالمة في ميدان العلم مجاهدة فى ميدان الجهاد.. عاملة فى ساحة العمل.. إيجابية في كل الأمور بعيدة عن السلبيات تحب معالى الأمور.. وتكره سفاسفها.. وكانت مدرسة النبوة تربى الأجيال منذ صغر لسنها على الفضيلة وحب الجهاد حتى إنهم كانوا يتقدمون للجهاد في سن صغيرة.. وابن عباس تربى فى هذه المدرسة...

فلقد خاض معارك كثيرة.. إضافة إلى ما شهده مع رسول الله - ﷺ- بدءاً من فتح مكة.. وقد شارك فى غزوة حنين والطائف عام ثمانية، وشهد مع على بن أبى طالب الجمل وصفين، وكان أميراً على الميسرة.. وشهد معه قتال الخوارج..

كما كان صاحب رأى.. فلقد أشار على ابن عمه على بعدم عزل معاوية من إمارته بالشام حتى تستقر لعلى الأوضاع.. فرفض على ذلك الرأى.. فقال له: إن أحببت عزله فوله شهراً وأعزله دهراً.. فأبى على ذلك، إلا أن يقاتله.. فكان ما كان.. وقد أمره علىّ على البصرة وأقام للناس الحج فى بعض السنين... وفى العام الذى قتل فيه عثمان .. فخطب فى الناس بعرفات خطبة وفسر للناس سورة البقرة..

وقـــال من سمعه: لو سمعته الروم وفارس لأسلمت.. وشارك - ﷺ- فـــي فتح أفريقية والقسطنطينية .. فعن أبى سعيد بن يونس قال: غـــزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبى سرح.. وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً.. وكانت هذه الغزوة سنة سبع وعشرين.هـــ

(سير أعلام النبلاء – ٢٢٦/٣ ، الإصابة ٩٠/٤)

وفـــي عهد معاوية غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية.. وكان فى جيشـــه جماعات من سادات الصحابة.. منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبـــير وأبو أيوب الأنصاري.. وقد ثبت فى صحيح البخاري أن رسول الله -ﷺ- قـــال: أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم.. فكان هذا الجـــيش أول مـــن غـــزاها- ومـــا وصـــلوا إليها- إلا بعد أن بلغ منهم الجهد..هـــ (البداية والنهاية لابن كثير – ٣٢/٨)

عبدالله بن عباس والكرم:

جبل صحابة رسول الله -ﷺ- على كل الخصال الكريمة.. ومن ضـــمنها الكرم.. ولا سيما أهل البيت.. وبنى عبدالمطلب.. فقد كانت لهم الســـقاية.. وهاشـــم.. جد رسول الله ما سمى هاشماً إلا لأنه كان يهشم الثريد للناس.. فخصلة الكرم متأصلة فى الهاشميين وآل البيت..

فما هو نصيب ابن عباس من هذه الصفة؟؟

عـــن حبيـــب بن أبى ثابت أن أبا أيوب أتى معاوية- رضى الله عـــنهما- فشكا إليه أن عليه دينا.. فلم ير استجابة من معاوية.. مع أن

معاويـــة.. كان يعطي ويعطي كثيراً.. ولعله لا يرغب في صلة أبي أيوب الأنصاري لسبب أو لآخر..

يقـول أبو أيوب.. سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: إنكم سترون بعـدي أثـرة .. قال فأي شيء قال لكم؟ قال: اصبروا .. قال فاصبروا.. فقـال.. والله لا أسألك شيئا أبداً.. فقدم البصرة.. فنزل على ابن عباس- رضي الله عنهما- فقرع له بيته وقال:

لأصـنعن بـك كمـا صـنعت مع رسول الله -ﷺ- فأمر أهله فخـرجوا وقـال: لـك ما في البيت كله.. وأعطاه أربعين ألفا.. عشرين مملوكاً.هـ

وفـي الطبرانـي: فـأتى عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- بالبصـرة وقـد امره عليها علىّ -رضي الله عنه- فقال: يا أبا أيوب إني أريد أن أخـرج لـك عـن مسـكني كما خرجت لرسول الله -ﷺ- فأمر أهله فخـرجوا.. وأعطـاه كل شيء أغلق عليه الدار.. فلما كان انطلاقه قال: حاجـتك.. قـال: حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي.. وكان عطـاؤه أربعة آلاف فأضعفها لـه خمس مرات.. فأعطاه عشرين ألفا.. أربعين عبداً..هـ (حياة الصحابة ١/٦٠١ ، ٦٠٢)

ونقـول: هذا هو المنتظر من ابن عباس وكأنه أراد أن يكافئ أبا أيـوب الأنصـاري علـى حسن استقباله لرسول الله -ﷺ- حين قدم المدينة.. ونزل عليه..

وقــد أكــرمه الرسول- عليه الصلاة والسلام- بالنزول عنده..

فمن ذا الذي يحظى بأن يكون أشرف الناس في بيته؟

وأخرج الترمذي عن ابن عباس- رضى الله عنهما- جاءه سائل فقال له ابن عباس:أتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟ قال: نعــم.. قــال: وتصوم رمضان؟ قال: نعم، قال: سألت وللسائل حق.. إنه لحق علينا أن نصلك.. فأعطاه ثوباً.. ثم قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقــول:ما من مسلم كسا مسلما ثوبا .. إلا كان فى حفظ الله ما دام عليه منه خرقة.هـ

صبره -رضي الله عنه- :

لقــد فقد عبدالله بن عباس في أخريات عمره بصره.. وأصبح لا يبصر ما لديه.. وفقد البصر لا ريب أمراً عظيماً يصعب على الإنسان أن يطيقه- اللهم احفظ يا الله علينا أبصارنا وحواسنا ومتعنا بها ما أبقيتنا- إلا أن ابــن عباس بما أفاض الله من نعمة الإيمان.. والصبر استطاع أن يحــول ما هو مصيبة.. إلى ما هو نعمة فما نزل به من فقدان بصره إن هــو إلا نعمة أنعم الله بها عليه إذ أنه قد عوض عليه بما هو أسمى من نور البصر.. ولنستمع إليه وهو يتحدث عن ذلك

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نــور

قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثــور هــ

(سير أعلام النبلاء - ٣/٢٤٠)

هكذا يحول ابن عباس المحنة إلى منة رضاء بقضاء الله وقدره.. هـ

صحبته لرسول الله -ﷺ- :

صحب ابن عباس رسول الله -ﷺ- نحوا من ثلاثين شهراً، ولكنه كان طوال هذه المدة ملازما لرسول الله -ﷺ- يحفظ أقواله.. ويحصى أفعاله..

وقد روى الترمذي من طريق ليث عن أبى جهضم عن ابن عباس أنه: رأى جبرائيل -عليه السلام- مرتينوفى الصحيح عنه أن النبي -ﷺ- ضمه إليه وقال: اللهم علمه الحكمة.

وكان يقال حبر العرب.. ويقال إن الذى لقبه بذلك جرجير ملك العرب.. وكان قد غزا مع عبدالله بن أبى سرح أفريقية فتكلم مع جرجير.. فقال له ما ينبغي إلا أن تكون حبر العرب.هـ

وكان عبدالله بن الزبير قتل جرجير هذا فى معارك إفريقية..

وفى معجم البغوي.. أن عمر كان يقرب ابن عباس ويقول: إنى رأيت رسول الله -ﷺ- دعاك فمسح رأسك.. وتفل في فيك.. وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل..

وعن عكرمة قال: أرسل العباس عبدالله إلى النبي -ﷺ- فانطلق ثم جاء فقال: رأيت عنده رجلا لا أدرى من هو؟ فجاء العباس

إلى رسول الله- عليه الصلاة والسلام.. فأخبره بالذى قال عبدالله فدعاه فأجلسه فى حجرة .. ومسح رأسه ودعى له بالعلم..هـ

وعن ابن عمر: دعى النبي -ﷺ- لابن عباس فقال: اللهم بارك فيه وانشر منه.هـ

وعن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله -ﷺ- قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله -ﷺ- فإنهم اليوم كثير- قال: واعجبا لك أترى الناس يفتقرون إليك قال فترك ذلك وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتى بابه وهو قائل أى: وقت الظهيرة.. فأتوسد ردائى على بابه يسفى الريح على من التراب.. فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى وآتيك..؟

فأقول: لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث.. فعاش الرجل الأنصاري حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألونى.. فقال هذا الفتى كان أعقل منى. هـ (الإصابة لابن حجر ، جـ ٣ صـ ٩٢)

وقال عبدالرازق: أنبأنا معمر عن الزهرى قال:

قال المهاجرون لعمر: ألا تدعونا كما تدعو ابن عباس قال ذاكم فتى الطهور له لسان سؤول وقلب عقول. هـ

هكذا كان عبدالله بن عباس مع رسول الله -ﷺ- ومع أصحابه حتى صار بحق ترجمان القرآن..

كـــان ابـــن عباس يبيت عند خالته ميمونة بنت الحارث الهلالية خالـــته زوج رســـول الله -ﷺ- ويصادق أن يكون الرسول عندها في ليلـــتها فيـــنام هو ورسول الله -ﷺ- في بيت واحد .. بل ينامان على وسادة واحدة..

فـــلا غـــرابة فـــي أن ينقل لنا شيئا من حياة رسول الله -ﷺ- الداخلـــية مما كان لا يطلع عليه غيره من الرجال.. ويجعل رسول الله- عليه الصلاة والسلام- مثله الأعلى في حياته..

فعـــن ابـــن عباس قال: بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبـــي-ﷺ- وكـــان- عليه الصلاة والسلام- عندها في ليلتها.. فصـــلى العشاء.. ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام ، ثم قام ، ثم قال: نام الغليم.. أو كلمة تشبهها.. ثم قام فقمت عن يساره.. فجعلني عـــن يمينه.. فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين.. ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم خرج إلى الصلاة.هـــ (البخاري ١/٣٧)

وعـــن كريـــب مولى ابن عباس أن عبدالله بن عباس أخبره أنه بـــات ليلة عند ميمونة زوج النبي -ﷺ- وهي خالته.. فاضطجعت في عـــرض الوسادة.. واضطجع رسول الله -ﷺ- وأهله في طولها.. فنام

رسول الله -ﷺ- حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل.. استيقظ -ﷺ- فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ.. العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران.. ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء ثم قام يصلي قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع.. ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع يده اليمنى على رأسي .. وأخذ بأذني يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح.هـ (البخاري ٥٣/١)

ومعنى الشن : أى القربة . هـ

وقد أفاد الحديث: والذى قبله أن رسول الله -ﷺ- قد خرج إلى الصلاة بعد النوم دون أن يتوضأ.. كما جاء مصرحا به فى رواية أخرى .. فقد جاء فيها.. ثم اضطجع فنام حتى نفخ ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة.. فقام معه إلى الصلاة.. فصلى ولم يتوضأ.هـ (البخاري ٤٤/١)

وذلك لأن رسول الله -ﷺ- تنام عينه وقلبه لا ينام.. قال في الفتح عند شرح هذا الحديث: وفيه دليل على أن النوم ليس حدثا.. بل مظنة الحدث.. ولو أحدث لعلم بذلك.. ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ.هـ (فتح الباري ١٦٩/١ بتصرف)

وروى أبو الوكل أن ابن عباس حدثه:

أنه بات عند رسول الله -ﷺ- ذات ليلة فقام -ﷺ- من آخر الليل.. فخرج منظر في السماء ثم تلا هذه الآية.. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ حتى بلغ ﴿...فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم قام فخرج إلى السماء.. فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى..هـ (رواه مسلم - ١/١٥٢)

وعن أبى الشعثاء أن ابن عباس أخبره:

أن رسول الله -ﷺ- كان يغتسل بفضل ميمونة هـ أى بالماء الذى يبقى بعد اغتسال ميمونة. هـ (١/١٧٧)

من هنا نعلم أن ابن عباس كان على صلة ملاصقة تقريبا بحياة الرسول-ﷺ- ولذا وصف لنا أمورا ما كان غيره يستطيع الإطلاع عليها.. بحكم حداثة سنه، وبكم صلته بخالته أم المؤمنين ميمونة..

ومن ذلك أن رجلاً سأله أكان رسول الله يمزح؟ قال: نعم.. فقال الرجل: ما كان مزاحه؟ فقال ابن عباس: كسا رسول الله- عليه الصلاة والسلام- بعض نسائه ثوباً واسعاً ، قال: البسيه واحمدى الله.. وجرى من ذيلك هذا.. كذيل العروس.. هـ (حياة الصحابة - ٣/١٧٨)

وكذلك وصف لنا ابن عباس عيشة رسول الله -ﷺ- .. وهذا الأمر من الأمور الخاصة كما نقول والبيوت أسرار لكن ابن عباس أخبرنا: فيما أخرجه الترمذي وصححه قال: كان رسول الله -ﷺ- يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويين لا يجدون عشاء.. وإنما أكثر خبزهم الشعير. هـ (حياة الصحابة -١/٤٥٤)

والطوى: الجوع

هذا هو ابن عباس في صحبته لرسول الله -ﷺ- يروي لنا أدق الخصوصيات عنه، وعن حياته الخاصة..

أدبه مع رسول الله -ﷺ- ودعاء الرسول له:

بلا شك كان الصحابة جميعا غاية في الأدب مع رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وابن عباس كان كذلك.. وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ هـ (الحجرات : ٣)

فعن كريب أن ابن عباس أخبره فقال: أتيت رسول الله -ﷺ- من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه.. فلما أقبل رسول الله -ﷺ- خنست فصلى رسول الله- عليه الصلاة والسلام- فلما انصرف من صلاته قال:

ما شأنى أجعلك في حذائي فتخنس؟ فقلت: يا رسول الله أوينبغي

لأحد أن يصلي فى حذائك وأنت رسول الله الذى أعطاك الله -ﷻ؟ قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً. هـ

(رواه الإمام أحمد ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨١/٨)

وعن عبيد الله بن يزيد عن ابن عباس أن النبي -ﷺ- دخل الخلاء أى الحمام فوضعت له وضوءا فقال: من وضع هذا؟ فأخبر فقال: اللهم فقهه في الدين، وفى البداية زيادة: وعلمه التأويل.. وعن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمنى رسول الله -ﷺ- وقال: اللهم علمه الكتاب. هـ (البخاري ١،٢٧ ، ١٣٨/٨)

وعن ابن عمر كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إنى رأيت رسول الله -ﷺ- دعاك يوما فمسح رأسك.. وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.هـ (فتح الباري ١٣٥/١)

وفى البداية والنهاية زيادة وتفل في فيك.

وعن طاورس عن ابن عباس قال: دعاني رسول الله -ﷺ- فمسح على ناصيتي وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب. هـ

(فتح الباري ١٣٥/١)

ولاشك أن دعاء رسول الله -ﷺ- مقبول وأنه قد استجيب له -ﷺ- في ابن عباس فكان عبدالله ابن عباس فقيها عالما ومحدثا وخبيرا بمعاني كتاب الله فهما لحديث رسول الله ومقاصد الشريعة، كما

هو ملموس ومشاهد كما سنرى عند الحديث عن علمه.هـ

هذا وقد أردف رسول الله -ﷺ- ابن عباس خلفه..

فقد أخرج أحمد عن ابن عباس- رضى الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- أردفه على دابته فلما استوى عليها .. كبر رسول الله -ﷺ- ثلاثا.. وسبح الله ثلاثا.. وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه فضحك.. ثم أقبل عليه فقال:

ما من امرئ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله -ﷻ- فضحك إليه كما ضحكت إليك. هـ (حياة الصحابة ٤/٦٠)

وقد شهد ابن عباس مع رسول الله -ﷺ- صلاة العيد.. فعن ابن عباس- رضى الله عنهما- سأله رجل: شهدت مع رسول الله -ﷺ- العيد.. أضحى - أفطراً؟

قال: نعم ولولا مكاني منه ما شهدته.. يعنى لصغره، قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- فصلى ثم خطب .. ولم يذكر أذانا ولا إقامة.. ثم أتى النساء فوعظهن.. وذكرهن وأمرهن بالصدق فرأيتهم يهوين إلى آذانهن وحلوقهن يدفعن إلى بلال ثم ارتفع هو وبلال إلى بيته. هـ

(البخاري ٦/١٦٢/٧/٥٤)

وكان- عليه الصلاة والسلام- يحض الناس على صلاة العيد.. وفي الصحراء.. ويأمر العواتق وذوات الخدور أن يشهدن صلاة العيد

كما روى ذلك في البخاري والعواتق الشابات من النساء، وذوات الخدور.. البنات الأبكار المستترات في البيوت، حتى إن المرأة التي ليس لها جلباب أمرت أن تستعير جلباب أختها..

وكذلك أمر الحيض من الناس أن يشهدن العيد يكبرن مع من يكبر ولكن يعتزلن الصلاة وكان يجند خروج الصبيان إلى المصلى تشجيعا لهم وتدريبا على حضور مشاهد الإسلام .هـ

عبدالله بن عباس ورؤيته جبريل:

عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند النبي -ﷺ- وعنده رجل يناجيه.. قال عفان راوى الحديث: وهو كالمعرض عن العباس فخرجنا من عنده فقال العباس: ألم تر ابن عملك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه قال عفان: قال عباس: أوكان عنده أحد؟ قلت: نعم.. فرجع إليه فقال يا رسول الله: هل كان عندك أحد آنفا؟ فإن عبدالله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك.. قال: هل رأيته يا عبدالله؟ قال: قلت نعم، قال: ذاك جبريل -عليه السلام- هـ

(رواه الإمام أحمد وابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٧/٨)

وروى الدار قطني عن ابن عباس أنه قال: رأيت جبريل مرتين، ودعى لي رسول الله بالحكمة مرتين،هـ

عبدالله بن عباس ووصفه حال الرسول عند الفزع:

قال ابن عباس: لما نزل برسول الله -ﷺ- طفق يطرح

خميصة على وجهه.. فإذا اغتم بها كشف عن وجهه.. فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.. يحذروا ما صنعوا. هـ (البخاري ١١٢/١)

وكأنه- عليه الصلاة والسلام- في هذا الموقف قد علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى .. فلعن اليهود والنصارى.. إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم ويحذو حذوهم فى ذلك.. (فتح الباري ٣٥٨/١)

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾هـ (النور ٦٣)

خروج الرسول في مرضه إلى الصلاة وخطبته:

عن عكرمة- عن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال: خرج رسول الله -ﷺ- في مرضه الذى مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة سوداء سماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد... فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا فى الناس بمنزلة الملح فى الطعام فحمدولى منكم شيئا يضر به قوما وينفع فيه آخرين.. فليقبل من محسنهم.. ويتجاوز عن مسيئهم.. فكان آخر مجلس جلس به النبي -ﷺ- هـ (البخاري - ١٨٤/٤)

وقد كان ابن عباس أحد الجماعة الذين حضروا عندما طلب الرسول- عليه الصلاة والسلام- عند وفاته أن يكتب كتابا لأمته

يرجعون إليه بعده.. فلم يدر ذلك عمر..

روى بـن شـهاب عن عبيد الله بن عبدالله ابن عباس قال: لما اشـتد بالنبـي -ﷺ- وجعه قال: ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعـده: قال عمر: إن النبي -ﷺ- غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا.. فاختلفوا وكثر اللغط قال: قوموا عني.. ولا ينبغي عندى التنازع.. فخرج ابـن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله -ﷺ- وبين كتابه. هـ (البخـاري - ١/٣٧ ، البخاري ٥/١٣٧ ، مسلم ٥/٧٦)

ولقـد عيـن ابـن عباس في رواية أخرى اليوم الذى طلب فيه رسول الله -ﷺ- أن يكتب كتاباً..

فعن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس.. وما يوم الخمـيس؟ اشتد برسول الله -ﷺ- وجعه فقال: ائتوني اكتب لكم كتابا لـن تضـلوا بعـده أبداً فتنازعوا.. ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شـأنه؟ أهجر؟ استفهموه.. فذهبوا يرددون عليه فقال: دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه.. وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.. وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم.. وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها. هـ (البخـاري - ٥/١٣٧)

ومن هنا يتبين أن عبدالله بن عباس كان قريبا من رسول الله -ﷺ-حـتى وفاته وكان حريصا على إحصاء وحفظ كل ما يصدر عنه -ﷺ-. هـ

ومـــن ذلـــك وصـــف ابن عباس لوفاة رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وكيفية غسله والصلاة عليه ولا غرابة في ذلك فهو من أخص أهل البيت.

فلقد وصف لنا ابن عباس حياة رسول الله -ﷺ- في آخر أيام حـــياته- والتحاقه بالرفيق الأعلى.. وكيف صلى عليه المسلمون.. فلقد أخرج الطبراني عن ابن عباس- رضى الله عنهما:

أن النبـــي -ﷺ- ثقل .. وعنده عائشة.. وحفصة إذ دخل على رضـــى الله عنهم فلما رآه النبي- عليه الصلاة والسلام- رفع رأسه ثم قـــال: أدن منى.. أدن منى.. فاسنده إليه فلم يزل عنده حتى توفى.. فلما قضـــى قـــام علـــى وأغلـــق الباب .. وجاء العباس -رضي الله عنه- ومعه بنو عبدالمطلـــب.. فقـــاموا على الباب فجعل على يقول: بأبي أنت طبت حيا وطبت ميتا. وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها ، قال: اى العباس:

إيهـــا دع خنينا كخنين المرأة - وأقبلوا على صاحبكم قال على: ادخلوا على الفضل ابن العباس فقالت: الأنصار: ناشدكم بالله.. ونصيبنا مـــن رســـول الله -ﷺ-فأدخلوا رجلا يقال لـــه: أوس بن خولى يحمل جرة بإحدى يديه فسمعوا صوتا في البيت: لا تجردوا رسول الله -ﷺ- واغســـلوه كمـــا هـــو فـــى قميصه.. فغسله على.. يدخل يده من تحت القمـــيص.. والفضل يمسك الثوب عنه.. والأنصاري ينقل الماء.. وعلى

يد.. على خرقة يدخل يده تحت القميص. هـ

(حياة الصحابة جـ ٢ صـ ٦٠٣)

وابهـا : أمـر بالسـكون ، والخنيـن : نوع من البكاء دون الانتحاب

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: لما مات رسول الله -ﷺ- أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام إرسالا حتى فـرغوا ثم أدخل النساء فصلين عليه .. ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه.. ثـم أدخل العبيد فصلوا عليه.. إرسالاً ثم يؤمهم على رسول الله -ﷺ- أحد . هـ (حياة الصحابة جـ ٢ صـ ٦٠٤)

والإرسـال جمع: رَسَل بفتح الراء والسين ، أى : أفواجا وفرقا متقطعة. هـ

هكـذا يروى ابن عباس اللحظات الأخيرة من حياة رسول الله -ﷺ- وكيفية الصلاة عليه وما تم فى هذه اللحظات المؤثرة.

فلقـد كان قريبا -ﷺ- من رسول الله وابن عمه مدركا ما دار حتى غسله والصلاة . هـ

الفصل الثالث
خصائص أخرى لابن عباس

تتلخص فيما يلي:

قال ابن حجر فى الإصابة: وفي تاريخ يعقوب بن صفيان من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال: قدم على عمر رجل فسأله عن الناس فقال قرأ منهم القرآن كذا، وكذا فقال ابن عباس: ما أحب أن يسأل عن أى القرآن قال فزبرني عمر .. أى نهرني فانطلقت إلى منزله فقلت: ما أراني إلا قد سقطت من نفسه فبينا أنا كذلك إذ جاءنى رجل فقال: أجب فأخذ بيدي ثم خلا بي.. فقال ما كرهت مما قال الرجل؟ فقلت يا أمير المؤمنين.. إن كنت أسأت فاستغفر الله .. قال لتحدثني..

قلت: إنهم متى تنازعوا اختلفوا.. ومتى اختلفوا ضلوا.. قال: لله أبوك لقد كنت أكتمها الناس.

وفى المجالسة من طريق المدايني قال على فى ابن عباس: إنا لننظر إلى الغيث من ستر رقيق لعقله وفطنته..هـ

وكان ابن عباس غاية فى التواضع والأدب فقد روى ابن المبارك بسنده عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأهذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله.. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .. فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.هـ

هكذا نرى سيرة أصحاب رسول الله-يحترم بعضهم بعضا-ويوقر بعضهم بعضا- يحترم ابن عباس أهل العلم وهذا أمر مفروض لقوله-

ﷺ- ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه.

وهكـذا نرى زيد بن ثابت يقبل يد ابن عباس.. احتراما وتوقيرا لأهل البيت وأيضا ذاك أمر مفروض بل أمر فطري ولا يبغض أهل البيت مؤمن حيث يقول فيهم الحق جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾..

وما زلنا في فضائل عبدالله بن عباس -حبر الأمة:

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عكرمة أن عليا حرق ناساً فبلغ ابـن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم.. فبلغ عليا قوله.. فقال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص.. وعن مسروق قال: قـال عبدالله بن مسعود: أما أن ابن عباس لو أدرك أسناننا أي سننا ما عاشره منا أحد..

نعـم تـرجمان القـرآن ابن عباس فيكاد هناك إجماع على هذه الصفة فيه..

وأخرج أبو نعيم بسنده.. عن عبدالله بن دينار أن رجلا سأل ابن عمـر عـن قوله كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب إلى ابن عباس فاسأله فقـال ابن عباس: كانت السموات رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تنبت ففـتق هـذه بالمطر وهذه بالنبات.. فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد أوتى ابن عباس علما صدقا..

هكـذا: لقـد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه قد أوتى علماً.هـ

وقال عمرو بن حبش سألت: ابن عمر عن آية فقال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله تعالى على محمد..هـ

وقال فيه عائشة- رضى الله عنها- : هو أعلم الناس بالحج..

وفي معجم البغوى.. عن عطاء قال: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس – أكثر فقها ، وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع..

وعن ابن سعد من طريق ليث بن أبي سليم عن طاووس: رأيت سبعين من أصحاب رسول الله -ﷺ-إذا تداروا فى أمر صاروا إلى قول ابن عباس.هـ

وعن مجاهد قال: ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.. وقال جابر بن زيد : سألت البحر عن لحوم الحمر .. أى الحمر الأهلية، فكان عبدالله بن عباس يسمى عند الجميع البحر.. هكذا:

كان يلقبه أصحاب رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وهكذا التابعون.. وتكاد تجمع الأمة على علمه وفقهه ودقه فهمه .. وتصويبه للأمور وقد فاق أقرانه والذى قبله والذى بعده وكان شيوخ الصحابة يرجعون إليه..

فى التفسير والحديث والفقه وفي علوم مختلفة وكان بحق دائرة معارف-رضي الله عنه-..

وقد أمّر على الحج فى السنة التى قُتل فيها عثمان.. فخطب وهو

علـــى الموسم فجعل يقرأ ويفسر ، قال أبو وائل: قال رجل : إنى لأشتهى أن أقبل رأسه يعنى من حلاوة كلامه..

وعـــن الدارمى وابن سعد بسند صحيح عن عبدالله بن أبي زيد : كـــان ابن عباس إذا سئل فإن كان في القرآن أخبر به فإن لم يكن وكان عـــن رســـول الله -ﷺ-أخبر به فإن لم يكن وكان عند أبى بكر وعمر أخـــبر بـــه فـــإن لـــم يكن قال برأيه..هـــ ، وفى رواية ابن سعد اجتهد برأيه..هـــ (الإصابة)

وعـــند البيهقى بسنده عن عبدالله بن بريده: قال: شتم رجل ابن عـــباس فقـــال: إنـــك لتشـــتمنى وفى ثلاث إنى لأسمع بالحاكم من حكام المســـلمين يعجـــل فـــى حكمه فأحبه.. ولعلى لا أقاضي إليه أبدا.. وإنى لأســـمع بالغيـــث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى بها ســـائمة أى بهـــيمة ولا راعـــية وإنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم..هـــ

لقد كان محبا للخير والنفع المطلق للأمة..

وقـــال الزبير بن بكار: حدثت عن عمرو بن دينار قال: لما مات عـــبدالله بـــن عباس قال مالت ربانيّ هذه الأمة.. وساق بسند لـــه إلى موسى بن عقبة عن مجاهد أن ابن عباس مات بالطائف فصلى عليه ابن الحنفـــية فجاء طائر أبيض فدخل في أكفانه.. فما خرج منها فلما سوى عليه التراب قال ابن الحنفية مات والله اليوم حبر هذه الأمة...هـــ

وعن سعيد بن جبير قال: لما مات ابن عباس بالطائف.. فشهدت جنازته فجاء طائر أبيض لم ير على خلقته فدخل فى نعشه .. ولم ير خارجا منه.. فلما دفن تليت هذه الآية :

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.هـ

(الإصابة لابن حجر جـ ٤ صـ ٩٤ بتصرف واختصار)

هذا هو ابن عباس الذى لزم أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار يسألهم عن مغازي رسول الله حتى إنه ليسأل عن الأمر الواحد الثلاثين من أصحاب رسول الله.. وقال أحمد عن عبدالرزاق عن معمر قال: عامة علم ابن عباس من عمر وعلى وأبى بن كعب..

وثبت في الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَتْحُ ﴾ فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر.. ثم سأل ابن عباس عنها فقال: أجل رسول الله -ﷺ- نعى إليه فقال: لا أعلم منها إلا بما تعلم.. وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدر ابن عباس .. ومنزلته فى العلم والفهم.

وقال مجاهد الشعبي: عن ابن عباس قال: قال لى أبي: إن عمر يدنيك أى يقربك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عنى ثلاثاً : لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذبا .. قال الشعبي فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف ، قال:

قـــال ابن عباس: بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .. وقد شهد عبدالله بن عباس فتح إفريقية كما ذكرنا سنة سبع وعشرين مع ابن أبى ســـرح.. وقال الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه قال: نظر أبى إلى ابـــن عباس يوم الجمل يمشى بين الصفين فقال: أقر الله عين من له ابن عـــم مثل هذا.. وشهد الجمل وصفين.. وطلب أن يكون حكما لعلي فأبت مذحج قبيلة واليمن وكان أميرا على البصرة.. وكان ينتقد على على فى بعـــض أحكـــام فيرجع إليه على فى ذلك وقد حرق على ناسا.. فقال ابن عـــباس: لـــو كنت أنا لم أحرقهم بالنار.. إن رسول الله -ﷺ- قال: لا تعذبوا بعذاب الله.. بل كنت قاتلهم لقول رسول الله -ﷺ- من بدل دينه فاقتلوه..

وروى البيهقـــي بسنده أن صعصعة قال لعلي حين سأله عن ابن عـــباس وكـــان علـــى البصرة: يا أمير المؤمنين: إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال إذا حَدَثْ، وبحسن الاستماع إذا حُدِثَ ، وبأيسر الأمرين إذا خُولف.. وترك المراء ومقارنة اللئيم وما يعتذر منه.هـــ

وقـــال محمـــد بن سعد بسنده عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: ســـمعت جابر بن عبدالله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق بإحدى يديـــه على الأخرى: مات اليوم أعلم الناس ، وأحلم الناس، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق..هـــ (أى لا تعالج).

وقـــال فـــيه ابـــن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم..هـــ (البداية والنهاية جـ ٨ صـ ٢٨٤ بتصرف)

حقـــا لقد كان ابن عباس مفخرة للأمة الإسلامية بعامة والعربية بخاصـــة ، وحقـــا كان بحراً في العلم كل العلم.. يا سبحان الله فتوح من الله فـــي كـــل فن بحر وفهم حتى إن الناس ليتزاحمون على بابه .. كل يســـأل عن مسألة.. ومازال أصحاب الرسول بكثرة .. علماً بأن صحبته برسول الله كانت محدودة..

يقـــول يونـــس بن بكير حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح: قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لهـــا بـــه الفخـــر.. لقـــد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطـــريق. فمـــا كـــان أحـــد يقدر أن يجئ ولا يذهب ، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال لي: ضع لي وضوءا قال: فتوضأ وجلس وقـــال: أخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريـــد منه فليدخل قال فخرجت فأذنتهم: فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فمـــا ســـألوه عـــن شـــيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ثم قال : إخوانكـــم فخرجوا ثم قال: أخرج فقل من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل..

فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شـــيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال : إخوانكم فخرجوا – قال أبو صـــالح: فلـــو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس...هـــ

نعم ونعم بحبر الأمة والعالم بالقرآن وتأويله والمصيب في القول والسديد في الرأى نعم من المؤمنين رجال...

قال طاووس وميمون بن مهران: ما رأينا أورع من ابن عمر ، ولا أفقه من ابن عباس.. وكان ابن عباس أعلم الناس بالقرآن .. وعلى أعلم بالمبهمات..هـ

وقال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله..هـ (البداية والنهاية - جـ ٨ صـ ٢٨٨)

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأساله عنها .. وروى عنه أنه قال: أربع من القرآن لا أدرى ما به جئ .. الأواه والحنان والرقيم والغسلين.. وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع.هـ

ما زلنا نتحدث عن ابن عباس:

والحديث عنه لا ينضب .. فكلما عزمت على الفراغ تفتحت أمامى ينابيع من علم ابن عباس..

يروى ابن كثير في البداية والنهاية بسنده عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام إلى الله -ﷻ- ومن أكرم العباد على الله -ﷻ- ومن أكرم الإماء على الله -ﷻ- وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم.. وعن قبر سار بصاحبه.. وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة.. وعن قوس قزح ما هو؟ وعن المجرة .. فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن.. فكتب

ابن عباس إليه: أما أحب الكلام إلى الله: فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله..

وأكـرم العباد على الله: آدم خلقه بيده .. ونفخ فيه من روحه.. وأسجد لـه ملائكته وعلمه أسماء كل شئ.

أما أكرم الإماء على الله: فهي مريم بنت عمران..

وأمـا الأربعـة الذيـن لـم يركضوا في رحم: فآدم، وحواء، وعصى موسى، وكبش إبراهيم الذى فدى به إسماعيل، وفي رواية وناقة صالح..

وأمـا القبر الذي سار بصاحبه.. فهو حوت يونس.. وأما المكان الـذى لـم تصبه الشمس إلا مرة واحدة.. فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه.. أى أرض البحر المنفلق..

وأما قوس قزح: فأمان لأهل الأرض من الغرق.. والمجرة: باب في السماء.. وفي رواية الذى ينشق منه.. هـ هـ

فلمـا قـرأ ملـك الروم: ذلك أعجبه وقال: والله ما هي من عند معاوية.. ولا من قوله.. وإنما هى من عند أهل النبي -ﷺ- هـ هـ

(جـ ٨ صـ ٢٨٨)

وكـان معاوية يقول: ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه أى من ابن عـباس.. وقد نهى ابن عباس الحسين عن الخروج إلى العراق حتى كاد يتعلق بثيابه لأنه كان قد اضر بصره فى آخر عمره كما ذكرنا وكان ابن عـباس يقـول: يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم فإنك إن لا تفعل تندم..

وفـــى وصـــية لـــه لجندب:فصل صلاة مودع وأصبح في الدنيا كأنك غريب أو مسافر فإنك من أهل القبور.. وإنك على ذنبك.. وتب من خطيئتك.. ولن تنتفع بما خلفت أى تركت.. ولن ينفعك إلا عملك..هـ

وقال بعضهم أنه قال:لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى لـــه موضعا ولا تمـــار سفيها ولا حليما فإن الحليم يغلبك والسفيه يزدريك ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذى تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه..

وقـــال ابـــن عباس: تمام المعروف.. تعجيله وتصغيره وستره ، وقـــال لا يكافئ من أتانى يطلب حاجة فرآنى لها موضعا إلا الله -ﷻ- ولمـــا وقـــع خـــلاف بين الزبير وعبدالملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا وقالا لا نأتيك ولا نخالفك فهم بهما مهدداً فقدم لنجدتهما أربعة آلاف من العراق فكبروا بمكـــة تكبـــيرة واحـــدة.. وهما بابن الزبير فهرب وتعلق بأستار الكعبة وخرج ابن عباس ومحمد بن الحنفية إلى الطائف..هـ

وكان عبدالله بن عباس رجل دين ورجل علم.. وكان ورعا لكنه كـــان نـــزيها في مظهره يحب أن يرى أثر نعمة الله عليه.. فكان يلبس الحلـــة بـــألف درهم.. وهذا قبل اكثر من ألف عام.. وكان لـــه من الولد العـــباس وعلـــى وكـــان على يدعى السجاد لكثرة صلاته وكان على هذا أجمل قريش على وجه الأرض وهو أبو الخلفاء العباسيين..هـ

وكـــان لابن عباس أيضا.. محمد والفضل وعبدالله وأمهم زرعة بنت مسرح بن معدي كرب.هـ

قال الواقدي: وتوفى سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة.هـ

(البداية والنهاية بتصرف ـ اختصار)

الباب الثالث

الفصل الاول

عبدالله بن عباس وصحبته لعمر (رضى الله عنهما)

ذكرنا الكثير عن تقدير عمر لابن عباس وأنه كان يدنيه في مجلسه.. وأنه كان يعرف قدره ومنزلته ويجلسه مع شيوخ الصحابة.. ولم تظهر شخصية ابن عباس فى خلافة أبى بكر وذلك لصغر سنه.. وانشغال أبي بكر بحروب الردة.. وقصر مدة خلافته.. التى لم تزد عن سنتين وثلاثة شهور وعشرة أيام.. بخلافه في عهد عمر فقد تفتحت شخصية ابن عباس وآتت أكلها بإذن ربها..

فكان عمر يشاوره فى كثير من الأمور خاصة في الأمور الشرعية وكان عمر بطبعه كثير المشورة حتى إنه كان يستشير الفتيان والنساء..

فعن سعد بن أبى وقاص يقول: ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات.. أى المشكلات.. وروى عاصم ابن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال: دعانى عمر مع الأكابر ويقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا.. ثم يسألنى ثم يقبل عليهم فيقول: ما منعكم أن تأتونى بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذى لم تستو شئون رأسه..هـ

(سير أعلام النبلاء – جـ ٣ صـ ٣٣٢)

وروى إبراهيم التيمي فقال: خلا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ذات يوم فجعل يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس- رضى الله عنهما- فقال:

كيف تختلف هذه الأمة. وكتابها واحد .. ونبيها واحد..وقبلتها واحدة..؟

قـال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمـنا فـيما نزل .. وإنه يكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن لا يعرفون فـيما نزلـت.. فيكون لكل قوم فيه رأى.. فإذا كان لكل قوم فيه رأى.. اخـتلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا فزبره عمر وانتهره.. وانصرف ابن عباس ثم دعاه فعرف الذى قال ثم قال: إيها أعد.. هـ

(حياة الصحابة - جـ ٣ صـ ٧٣٠)

وفـي الحلية لأبي نعيم قوله عن مجد بن كعب القرظى عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- جلس في رهط من أصحاب رسـول الله- علـيه الصلاة والسلام- من المهاجرين فذكروا ليلة القدر فـتكلم منهم من سمع فيها بشئ مما سمع.. فتراجع القوم فيها الكلام.. فقال عمر:

مـالك يا ابن عباس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أن الله تعالى وتر يحـب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع.. وخلق الإنسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع وخلق فوقنا سموات سبعا.. وخلق تحتنا أرضين سـبعا.. وأعطـى من المثاني سبعا ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين.. عـن سبع.. وقسم المثيرات في كتابه على سبع.. ونقع في السجود من أجسـادنا علـى سبع .. وطاف رسول الله -ﷺ- بالكعبة سبعا.. وبين الصـفا والمـروة سبعا ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله بما ذكر فى

كتابه.. فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان والله أعلم...

فتعجب عمر وقال: ما وافقنى فيها أحدٌ عن رسول الله -ﷺ- إلا هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه.. إن رسول الله -ﷺ- قال: التمسوها فى العشر الأواخر، ثم قال: يا هؤلاء من يؤديني هذا.. كأداء ابن عباس.هـ (جـ ١ صـ ٣١٧ ، ٣١٨)

جرأة ابن عباس في قول الحق أمام عمر:

كان الناس يهابون عمر .. وقلما تجد واحداً يتحدث أمامه.. حتى إن ابن عباس نفسه يقول: مكثت سنة وأنا أريد أن اسأل عمر عن آية فلا أستطيع أن اسأله هيبة له..

فقد أخرج ابن عبدالبر عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: مكثت سنتين أريد أن اسأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن حديث.. ما منعنى إلا هيبته.. حتى تخلف فى حج أو عمره فى الأراك الذى ببطن مر الظهران لحاجته.. فلما جاء واخلوت به قلت: يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يمنعني إلا هيبة له.. قال فلا تفعل إذا أردت أن تسأل فسلنى فإن كان منه عندي علم أخبرتك.. وإلا قلت لا أعلم.. فسألت من يعلم..

قلت: من المرأتان اللتان ذكرهما أنهما تظاهرتا على رسول الله -ﷺ-، قال: عائشة وحفصة..هـ

(كتاب جامع بيان العلم وفضله ، جـ ١ صـ ١١٢ لابن عبدالبر ، وحياة الصحابة جـ ٣ صـ ٧٠ وأصله في البخاري جـ ٣ صـ ١٠٣)

ابــن عــباس فــي أواخر حياة عمر: ظل ابن عباس .. مصاحبا لعمــر ومحســنا فــي صحيحه حتى فارق عمر الحياة.. وكان له ناصحاً وأمينا جاهراً يقول الحق.. موضحا له المعضلات من الأمور مكفيه لكثير من المسائل فلما طعن دخل عليه قائلاً: أبشر يا أمير المؤمنين.. فإن الله قــد مصــر بــك الأمصار ودفع بك النفاق.. وأفشى بك الرزق قال: أفى الإمــارة تثنى على يا بن عباس، فقلت: وفي غيرها، قال: والذى نفسي بيده لوددت أنى خرجت منها كم دخلت فيها لا اجر ولا وزر. هـ

(أبو نعيم في الحلية)

ولقــد ظــل ابن عباس واقفا لعمر بن الخطاب حتى وضع على ســريره بعد الموت وورى فى ترابه، وهاك موقف من على لعمر يحكيه ابــن عــباس فيقول إنى لواقف في قوم فدعوا الله لعمر وقد وضع على ســريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنــت لأرجــو أن يجعلــك الله مع صاحبيك لأنى كثيراً ما كنت أسمع رســول الله -ﷺ-يقــول: كنــت وأبــو بكر وعمر.. وفعلت وأبو بكر وعمــر.. فــإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب . هـ (البخــاري جـ ٤ صـ ١٩٧)

هــذا هو البحر وهذا هو الجرئ في الحق وهذا هو مفرج ركبة عمــر وهــذا هو حبر الأمة وعالمها وليس ذلك غريبا عليه فقد دعى له ابــن عمه المعصوم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.. هذا هو عبدالله بن عباس هـ نعم ونعم من المؤمنين رجال هـ هـ

الفصل الثاني
ابن عباس وجوانب شخصيته المتعددة

١- علمـه :

فلقد كانت شخصية عبدالله بن عباس شخصية متكاملة .. متعددة الخصـال الكـريمة فما من خصلة من خصال الخير والفضيلة إلا وجدته مـتفوقا فيها... ولا شك أخذ معظم هذه الخصال من ابن عمه رسول الله -ﷺ- الذى بلغ الكمال كل الكمال فى صفات البشر الخيرية..

صفة العلم:

فمـا هـو السبب في ذلك.. وكنت قد أشرت إلى هذه الصفة آنفا ولكـن ابرز هذا بعض المسائل أو بعض المواقف فقط كنموذج فقط ومن هذه الأسباب التى جعلته كذلك..

دعوة الرسول -ﷺ- لـه حيث قال لـه: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.. فكان بهذه الدعوة فقيها ومفسرا لكتاب الله..

ثانـيهما: ذكـاؤه النادر وقريحته الوقادة ، وصبره فى تحصيل العلـم.. وقدرتـه على الاستيعاب فلقد كان بارعاً في ميادين شتى، العلم والمعـرفة، والأدب والشـعر واللغة.. قال عمرو بن دينار فيه ما رأيت مجلسـا أجمـع لخـير مـن مجلسه.. الحلال والحرام، وتفسير القرآن، والعربـية، والشعر، والطعام، وقال فيه عبدالله ابن عتبة، ما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له.. ولا وجدت سائلا سأله إلا وجد عنده علماً.. قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتا..هـ

(البداية والنهاية باختصار جـ ٨ صـ ٣٠١ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٢٣٥)

ولقد اتفق الناس أن ابن عباس برع على وجه خاص في الفقه، والتفسير والحديث.. حتى كان مرجع الناس إليه بالغدو والآصال..

لكن من أين حصل ابن عباس على هذه الحصيلة العلمية، مع أنه لم يصاحب رسول الله إلا فترة قصيرة فلقد توفى- عليه الصلاة والسلام- ولم يتجاوز ابن عباس الثالثة عشر من عمره.. ومع ذلك في الأغلب والأعم إلى:

١- دعاء رسول الله -ﷺ- له كما ذكرت بالفقه ، والفهم، وكفى بذلك سبباً.

٢- وأيضاً: ملازمته لرسول الله -ﷺ- في هذه الفترة القصيرة.. وساعد على ذلك أن زوج رسول الله -ﷺ- ميمونة بنت الحارث الهلالية خالته فجعل يدخل بيت رسول الله في أوقات لم تتح لغيره خصوصا مع صغر سنه..

٣- ملازمته لعمر وعلى: وهما من كبار الصحابة فلقد كان قريبا من عمر طيلة حياته كما لازم عليا، قال ابن عباس: لما فتحت المدائن.. أى في فارس أقبل الناس على الدنيا، وأقبلت على عمر فكان عامة حديثه عن عمر.هـ

(حياة الصحابة جـ ٣ صـ ٦٤٥)

٤- حرصه على العلم وصبره على تحصيله.. فكان لا يأنف أن يأخذ العلم ممن عنده علم.. فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

٥- كثرة سؤاله وتثبته فكان لا يكتفى بسؤال الرجل أو الاثنين..

فكـــان صـــاحب لسان سؤول وقبل عقول.. وكان ربما يسأل عـــن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله -ﷺ- ، كما كان لا يأخذ من أحد إلا بعد تثبت واطمئنان وتوثق..

ولقد تجادل ذات مرة مع المر بن قيس فى صاحب موسى. فسأل أبـــى بن كعب عنه فأفاد أبى أنه خضر وذكر القصة كما هى موجودة فى البخاري.ز وفيها فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر . هـــ

(البخاري جـــ ١ صـــ ٢٦ باختصار)

مـــن هنا يتبين لنا أن شخصية كهذه توفر لها من المقومات التى ذكرناها تكون إذا شخصية علمية بكل المقاييس..

ويقال في ابن عباس أنه حبر الأمة بحق وأنه بحر..هـــ

هـــذا ولم يؤثر في ابن عباس كفاف بصره في علمه.. فقد قال: من كان عنده من علمي علم فليقرأ على فإن إقراري له كقراءتى عليه.. فقال: فقرءوا عليه.هـــ

(سير أعلام النبلاء جـــ ٣ صـــ ٢٣٨)

الفصل الثالث
مكـانتـه في الفـقـه

قلت: كان فقيها.. بل كان أحد الفقهاء السبعة الذين انتهت إليهم الفتيا بعد رسول الله -ﷺ- والسبعة هم:

أم المؤمنين عائشة ، وعمر بن الخطاب، وابنه عبدالله بن عمر، وعلـى بن أبى طالب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت. هـ

يمكـن أن تجمع فتيا كل واحد منهم.. في مجلد ضخم، وقد جمع أبـو بكـر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن عباس في عشرين كتاباً.هـ

وكـان عبدالله بن عباس مرجع الصحابة عند اختلافهم في أمور الفقه: وقالت فيه عائشة أعلم الناس بمناسك الحج ، وشهد لـه عبدالله بـن عمـرو بن العاص، قال فيه: ابن عباس أعلمنا بما مضى ، وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شئ.هـ (البداية والنهاية جـ ٨ صـ ٣٠١)

وإليك بعض النماذج:

١- نموذج من فقهه ورأيه:

كـان يرى إذا أقام المسافر في بلدة وكان متردداً غير عازم على إقامـة أيام معلومة كان يرى -ﷺ- أنه يقصر في صلاته تسعة عشر يومـاً، وقـال لأن رسـول الله لما فتح مكة أقام فيها تسع عشرة يصلى ركعتين قال: فإذا سافرنا فأقمنا تسع عشرة قصرنا وإن زدنا أتممنا.هـ (البخـاري جـ ٢ صـ ٣٤)

وذهب فريق من الصحابة إلى أنه يقصر ما دام مسافراً حتى يعود إلى بلدته التى خرج منها، أو ينوى الإقامة فى بلدة أحب أن يسكت فيها.. وروى أن ابن عمر أقام بأذربيجان ستة أشهر يقصر الصلاة.. وذهب الشافعي إلى ما ذهب إليه ابن عباس من أن الصلاة تقصر إذا كان له حاجة يتوقع قضاءها كل يوم.. ما لم تزد على تسعة عشر يوماً بما فيها يوما الدخول والخروج . هـ (مغنى المحتاج ، باب صلاة المسافر)

٢- نموذج ثان : *الوطء الحرام هل يحرم الحلال؟*

قال عكرمة عن ابن عباس: إن الوطء الحرام لا يحرم الحلال .. فلو زنى رجل بأخت امرأته لم تحرم عليه امرأته.. وقد اتفق الفقهاء على أن الأب إذا عقد على امرأة .. حرم على ابنه الزواج منها دخل بها أم لم يدخل.. ولكنهم اختلفوا فيمن زني بها الأب.. أتحرم على الابن كما حرمت عليه زوجته فيكون الوطء المحرم ناشزاً للمحرمة، أم لا تحرم، فيكون الوطء المحرم غير ناشر لها؟

ذهب الشافعي ومالك فى الموطأ إلى أن الوطء الحرام لا يحرم الحلال فلا تحرم امرأة زنى بها الأب، وقال الشافعي في الأم: فإن زنى بامرأة أبيه أو زنى بامرأة ابنه أو أم امرأته فقد عصى الله تعالى ولا تحرم عليه امرأته ولا على أبيه ولا على ابنه امرأته لو زنى بواحدة منهما..

قال مالك فى الموطأ: فأما الزاني فإنه لا يحرم شيئا من ذلك لأنه تعالى قال: وأمهات نساءكم.. فإنما حرم ما كان تزويجاً ، ولم يذكر تحريم الزني..

وقـــال مـــالك بزنى الرجل بالمرأة فيقام عليه الحد فيها.. وينكح ابنتها أى يتزوجها ويتزوجها ابنه إن شاء وذلك لأنه أصابها حراماً...

وذهب أبو حنيفة وأحمد.. إلى أن الوطء الحرام يحرم الحلال فلا يحل لـــه أن يتزوج من وطئها أبوه بالزنى. هـــ هـــ

مكانته في التفسير:

كان ابن عباس لم يبلغها أحد غيره من الصحابة حتى لقب بترجمان القـــرآن وقـــد أخذه من رسول الله، ومن أصحاب رسول الله، ثم معرفته باللغة وعلمه الجم بها ثم ما فتح الله عليه به لدعوة الرسول له. هـــ

وقـــد روى الـــبخاري بسنده عن أبى جحيفة -رضي الله عنه- قال: قلت لعلى -رضي الله عنه- هل عندكم من شئ من الوحي إلا ما في كتاب الله -عز وجل؟ قـــال: لا والـــذى فلق الحبة.. وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن .. وما في هذه الصحيفة.. قلت: وما في الصحيفة؟ قال العقل.. وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.هـــ (جـــ ٤ صـــ ٣٠)

وقـــد ســـلك ابـــن عباس في التفسير منهجا سليما.. فهو حين يســـتعمل العقـــل يستعمله مستعينا بمقاصد الشريعة.. وأهدافها.. واللغة العربية التى نزل بها القرآن..

وكان عبدالله بن عباس يكره أن يأخذ من أهل الكتاب أو يسألهم وكـــان يقول كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم أحدث تقرءونه محضا لم

ينشب.. من هنا نعلم أن ابن عباس بعيد تماماً عن أى إسرائيليات.هـ

نماذج من تفسيره:

لقد فسر ابن عباس القرآن آية آية وأخذ عنه مجاهد وعرض عليه المصحف ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته.. ومن هذه النماذج قوله تعالى: ﴿وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن عباس: ليست بمنسوخة.. هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكينا فمن شهد منكم الشعر فليصمه.هـ (البخاري جـ ٥ صـ ١٥٥)

نموذج ثان:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ قال ابن عباس كان في بني إسرائيل القصاص فقط وليست عندهم الدية فشرع الله لهذه الأمة الدية فقال: فمن عفى له من أخيه شئ والعفو قبول الدية فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم.هـ قتل بعد قبول والديه.هـ (البخاري جـ ٥ صـ ١٥٤)

نموذج ثالث:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، قال ابن عباس لرادك إلى مكة . هـ (البخاري جـ ٦ صـ ١٨)

ابن عباس ومنزلته في الحديث:

كـــان ابن عباس من المحدثين البارزين عن رسول الله -ﷺ- ولكنه كان يكره الإكثار من الحديث عن الرسول -ﷺ- كما كان لا يقبل حديـــثا إلا بعـــد تثبـــت.. وكـــان ينهج في هذا النهج نهج عمر.. ورغم كراهيـــته للإكثار من الحديث يعد من المكثرين للحديث.. مع أبي هريرة، وجابـــر بـــن عـــبد الله الأنصـــاري، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وعائشة أم المؤمنين.هـــ

وقـــد بلـــغ مجمـــوع ما رواه ابن عباس: ١٦٦٠ ألف وستمائة وستون حديثاً.. اتفق البخاري ومسلم على خمسة وتسعين حديثاً..

وانفـــرد الـــبخاري بمائة وعشرين حديثاً.. وانفرد مسلم بتسعة وأربعين حديثاً.هـــ (رياض الصالحين لابن علان جـ ١ صـ ٧٣)

وفـــي الـــرياض المستطابة ليحيى بن أبى بكر العامري.. روى عـــبدالله بن عباس.. عن رسول الله -ﷺ- وأكثر فأخرج لـــه الشيخان مائتيـــن وأربعـــة وثلاثيـــن حديـــثاً، اتفقا على خمسة وسبعين ، وانفرد الـــبخاري بمائة وعشرة.. ومسلم بتسعة وأربعين.. وخرج عنه أصحاب المسانيد .. والسنن كلهم.هـــ

(الرياض المستطاب فى جملة من روى الصحيحين من الصحابة ٩٩٩)

وهـذه الروايات: أما سمعها ابن عباس من رسول الله -ﷺ- فـي فترة صحبته القصيرة.. أو سمعها من أصحاب رسول الله -ﷺ- بعد التثبت .. أو أحاديث.. أسندها إلى رسول الله دون أن يذكر الصحابي الـذى روى عنه.. أو أحاديث مطلقة .. يحتمل سماعها من رسول الله.. أو من غيره..

نماذج من الأحاديث التى رواها:

عـن عبدالرحمـن بـن عباس قال سمعت ابن عباس قيل لـه: أشهدت العيد مع النبي -ﷺ؟ قال : نعم ، ولولا مكانى من الصغر.. ما شـهدته.. خرج حتى أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطـب ثـم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهـن يهويـن بأيديهن يقذفنه فى ثوب بلال ثم انطلق هو وبلال إلى بيته.هـ (البخاري جـ ٣ صـ ٨)

نموذج ثـان :

عن أبى معبد قال: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله- عليه الصلاة والسلام- يخطب يقول لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محـرم.. ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم.. فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتـي خرجـت حاجة.. وإنى اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحج مع امرأتك . هـ (مسلم - جـ ٤ صـ ١٠٤)

نموذج ثالث :

عن ابن عباس قال: كنت خلف النبي -ﷺ- يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده تجاهك.. إذا سألت فاسأل الله.. وإذا استعنت فاستعن بالله.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك.. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك.. رفعت الأقلام وجفت الصحف.هـ (الترمذي ، وقال صحيح حسن حـ ٧ صـ ٢٠٣)

أما الأحاديث التي تحملها وهو صغير :

فقال أهل الحديث هي من القسم الذي يطلق عليه في مصطلح الحديث أهلية التحمل والذي عليه جمهور المحدثين أنه لا يشترط فيها البلوغ.. والإسلام والعدالة فهي لذا روايات مقبولة وحجتهم حديث جبير بن مطعم.. ففي الصحيحين أنه سمع النبي -ﷺ- يقرأ سورة الطور في صلاة المغرب.. وقال ذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي، وكان لم يسلم بعد.. وكان جاء المدينة قبل أن يسلم في شأن فداء الأسرى.هـ

نموذج ثالث :

عن ابن عباس قال: كنت خلف النبي -ﷺ- يوما فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده تجاهك.. إذا سألت فاسأل الله.. وإذا استعنت فاستعن بالله.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك.. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك.. رفعت الأقلام وجفت الصحف.هـ هـ (الترمذي ، وقال صحيح حسن حـ ٧ صـ ٢٠٣)

أما الأحاديث التي تحملها وهو صغير :

فقال أهل الحديث هى من القسم الذى يطلق عليه فى مصطلح الحديث أهلية التحمل والذى عليه جمهور المحدثين أنه لا يشترط فيها البلوغ.. والإسلام والعدالة فهى لذا روايات مقبولة وحجتهم حديث جبير بن مطعم.. ففي الصحيحين أنه سمع النبي -ﷺ- يقرأ سورة الطور فى صلاة المغرب.. وقال ذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبي، وكان لم يسلم بعد.. وكان جاء المدينة قبل أن يسلم في شأن فداء الأسرى.هـ

الفصل الرابع

موقفـه الســـياسي

قلت إن شخصية ابن عباس شخصية متكاملة .. وقد استفاد ابن عباس كثيرا من ملازمته لعمر بن الخطاب وأدرك كثيراً من الأمور التى تـتعلق بـالحكم .. لذا مصح عليا أن لا يتولى الخلافة إن قتل عثمان.. وقـال له.. إن الـناس سيطالبونك بدم عثمان إلى يوم القيامة.. ورفض علـى الخلافـة.. ولكنه في النهاية أكره عليها وعندئذ أشار عليه بإبقاء الولاة مؤقتا خصوصا معاوية.. وقال له إبقه شهراً.. وأعزله دهراً، وإلا فسـيطالبك بـدم عثمان.. ولا تأمن طلحة والزبير.. فرفض على نصيحة ابـن عـباس بما شرحناه آنفا وقد حدث كل ما توقعه ابن عباس.. وفى الـنهاية انضـم لابـن عمـه.. وقاتل معه حتى النهاية وكان لـه نعم المعين..هـ هـ

هـذا هو عبدالله بن عباس تلكم الشخصية الأسطورية المتكاملة الجوانب المتعددة المواهب.. علما ولغة وفقها وتفسيرا.. وحديثاً وشعراً وسياسية.. وكرماً وورعاً وشجاعة.. وإدراكاً لكل الأمور-رضي الله عنه- ونفعنا بعلمه.. وجزاه الله عن الأمة خير الجزاء.. ونعم من المؤمنين رجال...

وسأزيد المسألة وضوحاً.. فيما يتعلق بمواقفه السياسية...

شخصية ابن عباس السياسية:

لقد اتضح لكل ذى بصيرة من خلال الحديث عن هذه الشخصية إن شخصية ابن عباس متعددة الجوانب والمواهب... فكأنه شخصيات في شخص.. فهي شخصية مسلمة متكاملة فلم يكن سلبيا قط .. بل كان آخذا من كل ناحية بطرف.. فهو فقيه، ومحدث، ومفسر، بل هو من أبرز مصادر التفسير وقمة في اللغة، والأدب حكيم من ألمع الحكماء ومع ذلك لم تخل حياته من المواقف السياسية.. فلقد كان في هذا الميدان جولات وجولات إلا أن الناحية العلمية كانت أبرز شئ في حياته.. حتى طغت على ما عداها..

وسوف نبسط الجانب السياسي في حياته في ما يلي:

أولا: رأيه في تولى على بن أبى طالب الخلافة:

قلت إن عبدالله بن عباس لازم عمر حتى توفى.. وكان قريبا منه .. شارك فى معظم المعضلات.. والحياة خبرة.. فلقد أكسبته هذه الملازمة بصيرة نافذة .. فى حل الكثير من المشكلات.. فكان يضع الأمور في نصابها فقد كان يرى أن قتل عثمان وما صاحبه من صخب واضطراب قبل قتله وبعد قتله سيعقبه بلبلة وقلق في الوسط الإسلامي في المدينة وخارجها.. مهما كانت دواعى القتل ، كما أن قتل خليفة المسلمين.. بيد المسلمين قضية لها خطورتها.

لـذا كـان يـر ابـن عباس أن يبتعد علىّ عن منصب الخلافة خصوصا وأن عليا كان مقيماً في المدينة وقت قتل عثمان.. وبينه وبين مسرح الأحداث مرمى البصر..

فعـن عمرو بن دينار: أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم.. فدخل على عثمان فأمّره أى جعله أميراً على الحج.

فحـج .. ثم رجع فوجد عثمان قد قتل فقال لعلىّ: إن أنت قمت بهذا الأمر ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة.هـ

(سير أعلام النبلاء)

وربمـا تفـيد الأخبار التاريخية أن عليا لم يكن راغبا فى غمرة هـذه الأحـداث في الخلافة.. وأن نصيحة ابن عباس صادفت هوى فى نفسـه.. إلا أن الأمـور جـرت على غير ما يحب.. فقد لجأ الناس إليه ليـتولى الخلافة.. بل أكرهوه عليها.. حين لم يروا أحداً يتولاها أو أحداً صالحا لها غيره..

وقـد قلت آنفاً .. بل وصل الأمر بالثوار أن هددوه بالقتل وقالوا له: إذا لم تقبل ستلحق بعثمان.

يقـول ابـن كثـير في البداية والنهاية: عن سيف بن عمر عن جماعـة مـن شـيوخه: أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان، وأمـيرها الغـافقى ابـن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر.. والمصريون يلحون على (علىّ) وهو يهرب منهم إلى الحيطان..

ويبدو الكوفيون الزبير فلا يجدونه.. ويطلب البصريون طلحة فـــي يحيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولى أحداً من هؤلاء الثلاثة..فمضوا إلى سعد بن أبى وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم.. ثم راحـــوا إلـــى ابن عمر.. فحاروا فى أمرهم ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصـــارنا- أى بلادنـــا- بعـــد مقتل عثمان وبدون إمارة غيره.. اختلف الناس فى أمرهم.. ولم نسلم..

فـــرجعوا إلى على.. فألحوا عليه وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس...

وفى البداية والنهاية أيضاً: وقد امتنع على من إجابتهم إلى قبول الإمـــارة حتى تكرر قولهم لـــه وفر منهم إلى حائط بنى عمرو بن مبذول وأغلـــق بابه.. فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه.. وجاءوا معهم بطلحة والزبير.. فقالوا له:

إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير.. ولم يزالوا به حتى أجاب.

(جـ ٧ صـ ٢٢٦ - ٢٢٧)

نصيحة لابن عباس:

لمـــا ولى على الخلافة - بايعه ابن عباس.. ورأى أن المصلحة أن يكـــون إلى جانبه يتعهده بالنصيحة كلما لزم الأمر.. ويساعده في ما يجـــد من مشكلات.. وكان أول شئ فعله ابن عباس أنه نصح عليا.. أن يبقى الولاة فى إماراتهم ولو مؤقتا خصوصا معاوية الذى كان واليا على الشام.. منذ خلافة عمر..

وكـــان أول شـــئ حـــدث أن طلحة والزبير وجماعة من رءوس الصـــحابة جـــاءوا إلـــى على يطلبون إقامة الحدود على قتلة عثمان.. فاعتذر إليهم على بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان.. وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا.. وقد ذكر ابن كثير هذا في البداية والنهاية..

وهذا ما توقعه ابن عباس كما ذكرت.. ولما رأى ابن عباس هذا أشار على علىّ بن أبى طالب أن يبقى الولاة في البلاد إلى أن يتمكن من الأمر وأن يقر معاوية خصوصا على الشام وقال له: أخش إن عزلته عن الشام أن يطلب بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلما عليك بسبب ذلك.

فقـــال علـــى: إنى لا أرى هذا.. ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها.. فقال ابن عباس لعلي إنى أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان أو يحبســـنى لقرابتى منك ولكن اكتب معى إلى معاوية فمنّه وعَدْه- أى أعطيه أمنيةً ووعداً..

فقال على والله إن هذا ما لا يكون أبداً..

فقـــال ابـــن عـــباس: يا أمير المؤمنين الحرب خدعة- كما قال رسول الله ﷺ فوالله لأوردنهم بعد صدورهم . هـــ

(البداية والنهاية ، جـ ٧ ، صـ ٢٢٨ ، ٢٢٩)

نصيحة ثانية لابن عباس لعلي:

نصـــح ابن عباس عليا بأن لا يذهب إلى العراق ويغادر المدينة المنورة.. لأن المدينة هى عاصمة الإسلام.. ومنها انتشر.. وأهلها أقدم الناس إيمانا وأصدقهم في نصرة الحق.

قـــال ابن كثير: ونهى ابن عباس عليا أن يقيل من هؤلاء الذين يحســـنون إليه الرحيل إلى العراق ومفارقة المدينة.. فأبى عليه ذلك كله وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار..

ابن عبـاس ومعركة الجمل وصفين:

شـــهد عـــبدالله بـــن عـــباس مع على وإلى جانبه معركة الجمل وصـــفين.. فـــى أحلك ظرف مر عليه في حياته.. وقد كان يرى وجوب مناصـــرته لابن عمه عليا.. ولأن جمهور المسلمين بايعه بالخلافة وأن من لم يبايعه يقاتل...

قال الزهرى: عن على بن الحسين عن أبيه قال: نظر أبى – أى على- إلى ابن عباس يوم الجمل وصفين وكان ابن عباس على الميسرة في الجيش.. وشهد معه قتال الخوارج ... وقاتل بنفسه قتالاً في صفين.. وقـــد طلب أن يبرز إليه الوليد بن عقبة من قبل جيش معاوية وكان أمير الحرب في ذلك اليوم فأبى. هـــ

وكـــان ابـــن عباس قال لعلى: فى معاوية: ولّه شهرا .. واعزله دهـــراً.. فـــأبى على إلا أن يقاتله.. وكان ابن عباس على ميسرة جيش على في اليوم السابع في معركة صفين.هـــ

عبدالله بن عباس وتوليه بعض المناصب السياسية:

لـــم تقتصـــر مهمة ابن عباس على الرأى والمشورة.. بل شارك فى تولى بعض المناصب السياسية ففى البداية والنهاية أن عليا قد ولاه

البصرة سنة ست وثلاثين.. فلم يزل واليا عليها حتى قتل على كما يقول ابـن حجـر فـي الإصابة.. وقد كان يسعى لتعليم الناس معانى القرآن خاصة في شهر رمضان.. وكان أهل البصرة سعداء به..

ويقول ابن كثير فى البداية والنهاية : أن عبدالله بن عباس ترك البصـرة في حياة على، وذلك أن أبا الأسود الدؤلى شكى ابن عباس إلى علـى، فكتـب علـى إلى ابن عباس يعاتبه، فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علىّ:

ابعـث إلى عملك من أحببت فإنى ظاعن عنه والسلام.. ثم سار إلى مكة مع أخواله بنى هلال.هـ (جـ ٧ صـ ٣٢٣)

ابن عباس وقضية التحكيم:

إن قضـية التحكـيم بيـن علـى ومعاوية كانت نقطة تحول في الخلاف بينهما.. وقد شهد ابن عباس معركة صفين.. وكان أمير الحرب فى هذه المعركة.. وقد نادى أهل الشام بإيقاف القتال والتحكيم..

وكان من رأى على أن يكون ابن عباس هو الحكم لكفاءته لمثل هـذا الموقـف الحـرج.. ولكن أهل اليمن أبوا إلا أن يكون أبو موسى الأشعري الذى كان معتزلا القتال حينذاك ...

وقد نصح ابن عباس أيضا بأن لا يكون أبو موسى حكماً عنه..

فعـن عكرمة قال: سمعت عبدالله بن عباس يقول قلت: لعلىّ: لا تحكم أبا موسى: فإن معه رجلاً حذراً مرساً قارحاً من الرجال فلزنى إلى

جنبه.. فإنه لا يحل عقدة إلا عقدتها ولا يعقد عقدة إلا حللتها، قال: يا ابن عباس فما أصنع؟ إنما أوتى من أصحابي.. قد ضعفت نيتهم وكلوا.. هذا الأشعث يقول: لا يكون فيها مضريان أبدا.. فعذرت عليا..هـ

(سير أعلام النبلاء)

وقد وافق على على رغبة هؤلاء وفوض أبا موسى وكان ابن عباس أحد الشهود وعلى كتاب التحكيم ابن عباس ومناظرته للخوارج..

لما رضى على بالتحكيم انشق عنه فريق من جيشه يقرب من اثنى عشر ألفا.. وأخذوا ينادون لا حكم إلا الله.. وكفروا عليا بذلك.. وهؤلاء هم الذين أصبحوا يسمون في التاريخ بالخوارج وقد حاول على أن يرجعهم إلى جادة الصواب فأرسل إليهم عبدالله بن عباس فناظرهم.. فعاد أكثرهم إلى موالاة على..

وقد جرت بينهم مناقشات تدل على مقدرة ابن عباس السياسية والعلمية.. يقول ابن كثير في البداية والنهاية ما خلاصته.. أن عليا بعث إلى الخوارج.. فقام ابن الكوا فخطب في الناس فقال:

يا حملة القرآن هذا عبدالله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه.. ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه هذا ممن نزل فيه وفي قومه بل هم قوم خصمون ، فرده إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله فقال بعضهم: والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه، وإن جاء بباطل لنكبتنه ببطله فواضعوا عبدالله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم

أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكوا حتى أدخلهم على على الكوفة.هـ

(جـ ٧ صـ ٢٨١)

ولتواضعه – المواضعة – المراهنة والموافقة في الأمر.

وفي الكامل للمبرد:

ذكـر أهـل العلم في غير وجه أن عليا –رضي الله عنه– لما وجه إليهم عبدالله بن عباس ليناظرهم قال لهم: ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين؟ قـالوا: قـد كان للمؤمنين أميرٌ فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان، فليتـب بعـد إقراره بالكفر نعدله.. فقال ابن عباس: لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر..

قالوا: إنه قد حكم قال: إن الله –عز وجل– قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال–عز وجل– : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾

فكـيف في إمامة قد أشكلت على المؤمنين؟ فقالوا: إنه قد حكم عليه فلـم يـرض، فقال: إن الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلـك الحكمـان لمـا خالفا نبذت أقاويلهما، فقال بعضهم لبعض، لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فإن هذا من القوم الذين قال الله–عز وجل– فيهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ وقال–عز وجل–:﴿وتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾.. هـ

(رغبة الآمل من كتاب الكامل جـ ٧ صـ ٧٩٥)

وفي نفس المناظرة : كما جاء في الكامل أيضا: أنهم قالوا لـه: إن معاوية يدعى مثل دعوى على، قال ابن عباس: فأيهما رأيتموه أولى

فولـــوه قولوا صدقت: قال ابن عباس: متى جار الحكمان لا طاعة لهما، ولا قبول لقولهما قال: فاتبعه منهم ألفان.. وبقى أربعة آلاف.

(جـ ٧ صـ ١٤٠)

وفـــي الكـــامل أيضاً: كان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس: إذا كـــان علـــى على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب؟ أى يأخذ أعداءه سبايا..

فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجواب في التحكيم.. فأما قولكم فـــي الســـباء أفاكنتم سابين أحكم عائشة؟ فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقـــالوا: أمســـك عنا يغرب لسانك يا ابن عباس فإنه طلق ذلق غواص على موضع الحجة.هـ (شرح الكامل جـ ٧ صـ ١٧٧)

وأصحاب النخيلة جماعة من الخوارج.. كان على قاتلهم حتى ما أبقى منهم إلا خمسة آلاف...

وفي الحلية عن ابن عباس قال:

لمـــا اعتزلت الحرورية.. قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عنى الصـــلاة أيمـــا أخسر إقامتها حتى يبرد الوقت .. لعلى آتى هؤلاء القوم فـــأكلمهم قـــال: إنى أتخوفهم عليك قال : قلت كلا إن شاء الله.. فليست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية.. ثم دخلت عليهم وهم قائلون: أى في وقت الظهيرة.. فى نحر الظهيرة..

فدخلـــت علـــى قوم لم أر قوما أشد اجتهاداً منهم.. أيديهم كأنها

ثغـن إبل- جمع ثغنة وهي ركبة البعير- وما مس الأرض من كركرته.. ووجوههم مقلبة من آثار السجود- أى أقوياء أتقياء..

قـال: فدخلـت فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئـت أحدثكـم علـى أصحاب رسول الله -ﷺ- نزل الوحي وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم: لا تحدثوه وقال بعضهم: لنحدثنه، قال: أخبروني ما تـنقمون علـى ابـن عم رسول الله -ﷺ- وختنه- أى صهره وزوج ابنـته- وأول مـن آمن به، ،أصحاب رسول الله معه، قالوا: ننقم عليه ثلاثـا.. قلت: وما هن؟ قالوا: أولاهن: أنه حكم الرجال في دين الله وقد قـال الله-ﷻ- ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ قال: قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفاراً لقد حلت لـه أموالهم وإن كانوا مؤمنين لقـد حرمت عليه دماؤهم قال: قلت ثم ماذا؟ قالوا: ومما نفسه عن أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين..

قـال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم مـن سـنة نبيكم-ﷺ- مـا لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (المائدة ٩٥)

وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا

حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ (النساء ٣٥)

أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم أرنب ثمنها ربع درهم؟ فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم...

قال: وأما قولكم لإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم- أى عائشة أم المؤمنين- ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام.. إن الله-عز وجل- يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم أخرجت من هذه ؟ قالوا: اللهم نعم ، قال: وأما قولكم مما نفسه أمير المؤمنين فإن رسول الله-ﷺ- دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا فقال: اكتب هذا ما قاض عليه محمد رسول الله ، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال:

والله إنهى لرسول الله وإن كذبتموني أكتب يا على محمد بن عبدالله فرسول الله كان أفضل من على أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفا وبقى منهم أربعة آلاف فقتلوا.هـ.

(الحلية جـ ١ صـ ٣١٨ - ٣٢٠)

نصيحة ابن عباس للحسين بن على بعدم الخروج إلى العراق:

ظل ابن عباس وفيا لأبناء على كما كان وفيا لعلي يؤازرهم ويقاتل من أجل أبيهم كما ذكرنا .. وقد أدرك ابن عباس حقيقة أهل العراق.. ومواقفهم غير الحسنة من على لذا نصح ابن عباس في عدم الخروج إلى العراق، وأن لا يصدق كتبهم الكثيرة المرسلة إليه من قِبَلِهِم وألح عليه كثيرا في ذلك.

ففي سير أعلام النبلاء عن ابن عباس قال: استشارني الحين بن على في الخروج فقلت: لولا أن يزرى بي وبك الناس لتشبثت يدي في رأسك.. فلم أتركك تذهب..أى أمسكك من رأسك أمنعك من الخروج إلى العراق.. فكان الذى رد على أن قال: لأن أقتل فى مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة.. قال: فكان هذا الذي سلى نفسى عنه.. أى أحب إليه من أن يقتل فى مكة.. فتحل حرمتها بقتله فيها.

(جـ٣ صـ ١٩٦ ، والبداية والنهاية: جـ ٨ صـ ١٥٩)

وعن عقبة بن سمعان أن حسينا لما أجمع المسير إلى الكوفة أتان ابن عباس فقال: يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لي ما أنت صانع فقال: إنى قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى.. فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم.. ونفوا عدوهم.. وضبطوا بلادهم.. فسر إليهم.. وإن كان أميرهم حيا وهو مقيم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي

بلادهـــم فـــإنهم إنمـــا دعوك للفتنة والقتال.. ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك..

فقـــال الحســـين: إنـــى أستخير الله وأنظر ما يكون ، فخرج ابن عباس عنه..

فلمـــا كـــان من العشي، أو من الغد جاء ابن عباس إلى الحسين فقـــال لـــه: يا ابن عم إنى أتصبر ولا أصبر، غنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك.. إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم فى هذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم، ثم اقدم عليهم وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا ولأسبيك به شيقة وكن عن الناس في معزل واكتب إليهم وبـــث دعـــاتك فـــيهم فإنى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب، فقال الحســـين: يـــا بـــن عم إنى لأعلم أنك ناصح شفيق.. ولكنى قد أزمعت المســـير.. فقـــال لـــه: فإن كنت ولابد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك.. فوالله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه..

ثم قال ابن عباس: أقررت عين ابن الزبير بتخيلتك إياه بالحجاز فـــوالله الـــذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعتنى وأقمت لفعلت ذلك..

قـــال: ثـــم خرج من عنده فلقى ابن الزبير.. فقال: قرت عينك يا ابن الزبير ثم قال:

يالك من قـــبره بمعـــمر *** خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري *** صـيادك اليوم قتيل فابشـري

ثـم قـال ابن عباس لابن الزبير: هذا حسين يخرج إلى العراق، ويخليك الحجاز.هـ

(البداية والنهاية، جـ ٨ صـ ١٥٩-١٦٠، وسير أعلام النبلاء، جـ ٣ صـ ٢٠٠)

فإنـنا نـرى موقف ابن عباس من على ومن الخوارج وما بذله مـن نصـيحة للإمام علي.. وكذلك ما دار بينه وبين الخوارج حتى رجع معظمهـم إلـى حظـيرة على.. وقد أقنعهم بحجج قاطعة تدل على علمه وقوة حجته، وكذلك نراه ناصحا أمينا للحسين بن على مبينا لـه طبيعة أهـل العراق وأنهم قوم غدر وبين لـه وجهة الصواب وحذره وحذره، وألح عليه كثيرا في عدم الخروج، ولكن الحسين لم يستجب لنصيحة ابن عـباس كمـا لم يستجب لـه الإمام على.. والحروب خدعة تحتاج إلى بصـيرة وحـيلة وابن عباس خبير بذلك.. وهكذا نراه -رضي الله عنه- أنه كان سياسياً بارعاً بعيد النظر. هـ هـ

موقف ابن عباس من عبدالله بن الزبير:

لمـــا مـــات معاويـــة بن يزيد ، رأى عبدالله بن الزبير أنه أولى بالخلافـــة من غيره من الناس فدعى لنفسه بالخلافة، وبايعه معظم أهل الحجـــاز، وأهل مصر والعراق، ولم يبق مؤيداً لبني أمية إلا أهل الشام، بل من أهل الشام من كان مع ابن الزبير..

كمـــا كان فريق من أهل الحجاز غير راض بخلافته، فلم يبايعوه منهم عبدالله بن عمر وابن الحنفية، وعبدالله بن عباس..

ولقد كانت كراهبة ابن عباس لولاية ابن الزبير بادية منذ خروج الحسين للعراق، ويحضه على ذلك ليخلو له الجو وكان ابن عباس يفهم نية ابن الزبير في ذلك ولفت نظر الحسين ولكن الحسين لم يستجب له..

ورغـــم كراهـــية ابـــن عـــباس لابن الزبير فإنه أخيرا رغب فى مبايعـــته وإظهار الطاعة لـــه غير أن عبدالله بن الزبير لم يحسن تقدير هـــذا الموقف لابن عباس.. فلم يحسن معاملته.. ولم تعرف لـــه قدره.. بل أعرض عنه.. وقدم عليه غيره.. ونسوق بعض المواقف لابن عباس مع ابن الزبير..

جاء في صحيح البخاري عن ابن أبى مليكة قال: دخلنا على ابن عـــباس فقال: ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقالت: لأحاسبن نفســـي لـــه محاسبة ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر ولهما كانا أولى بكل خـــير مـــنه وقلت ابن عمة النبي -ﷺ- ابن الزبير.. وابن أبي بكر..

وابــن أخى خديجة، وابن أخت عائشة فإذا هو يتعلى على ولا يريد ذلك

فقلــت: ما كنت أظن أنى أعرض هذا من نفسي فيدغه وما أراه يــريد خــيراً وإن كــان لابد لأن يربنى بنو عمى أحب إلى من أن يربنى غيرهم.هـــ (صحيح البخاري جـ ٥ صـ ٢٠٥)

ومعــنى يربنـــي : أى يكونوا على أمراء والمراد ببنى عمه بنو أمية . فتح الباري (جـ ٨ صـ ٢٢٧)

ونقول من هذا الموقف يتضح أن ابن عباس:

يعتب على ابن الزبير تجاهله وإنزاله منزلته ومعرفته قدره وابن عباس معلوم لابن الزبير ولغيره حسبا ونسبا وعلما وفقها وسياسة إلى آخر ما ذكرنا في ابن عباس علما بأن ابن عباس غالب نفسه ورغب في مبايعته وإظهار طاعته..

وكــان الأجــدر بابــن الزبــير أن يتودد لابن عباس ويزوره.. ويســتعطفه لــيكون فى مكة والحجاز كما أنه يعلم أن عبدالله بن عباس يعرف ذلك منه..هـــ

وقــد روى ابــن كثير في البداية والنهاية قوله: وقع الخلف بين ابــن الزبــير وبين عبدالملك بن مروان اعتزل عبدالله بن عباس ومحمد بن الحنفية الناس فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه وقال كلّ منهما : لا نــبايعك ولا نخالفك فهمّ بهما -أى ليقتلهما- فبعثا أبا الطفيل عامر بــن واثلــة.. فاســتنجد لهما من العراق من شيعتهما فقدم أربعة آلاف

فكـبروا بمكـة تكبيرة واحدة.. وهموا بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعـبة، وقال أن عائذ بالله فكفوهم عنه ثم قالوا : إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف.هـ

(البداية والنهاية جـ ٨ صـ ٣٠٥ - ٣٠٦)

وفى البداية والنهاية أيضا: قال الواقدي: لما أراد ابن الزبير هدم الكعـبة شاورا الناس فى هدمها فأشار عليه بعض الناس بذلك.. وأشار عليه ابن عباس بعدم هدمها حتى لا يتهاون الناس بحرمتها ولكن أصلح ما تهدم من بنيانها.هـ

(البداية والنهاية بتصرف جـ ٨ صـ ٢٥١)

وقـد كانـت رغبة ابن الزبير من هدم الكعبة إدخال الحجر فيها لأنه من الكعبة.. ولم تدخله قريش حين بنت الكعبة لأن النفقة الحلال قد قصـرت بهم، وقد قال رسول الله -ﷺ- لعائشة: (لولا أن قومك حديثو عهـد بكفر لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه ما أخرج منه) فأراد ابن الزبير تحقيق ذلك.هـ

(صحيح البخاري جـ ٢ صـ ١٥٦، وصحيح مسلم جـ ٤ صـ ٩٧ وما بعدها باختصار وتصرف)

وهكذا يبين لنا أن ابن عباس لم يكن بعيداً عن السياسة بل كان خائضـا لغمارهـا مشـاركا فى أحداثها يعرف صوابها من خطأها يزن الأمور ويعضها فى نصابها مدركاً لأحداثها عارفا بنوايا المشتركين فيها بعـيداً عـن عبـثها نعـم هذا هو عبدالله بن عباس الذى عركته الحياة

وأحداثها وكيف لا وقد صاحب عمر حياته وعلى حياته وشارك معه أضخم الأحداث التاريخية وخاض معه الفتنة الإسلامية.. وشارك في صفين والجمل والنهروان وجاهد وجادل مع الخوارج إذا هو ذا ابن عباس الذي دار دفة السياسة في أحلك ظروف تاريخية مرت بالمسلمين.هـ هـ

الفصل الخامس

نماذج من أخبار ابن عباس

توجد في حياة ابنة عباس أخبار متفرقة ومتعددة لا تدخل في عنوان محدد ولما كانت هذه الأخبار مفيدة، عزمت على ذكر نماذج منها لتكمل الفائدة والحديث عن هذه الشخصية العظيمة شخصية ابن عباس المتعددة الجوانب المتكاملة الخصال..

أولاً: تسليته لأم المؤمنين عائشة وثناؤه عليها عند احتضارها:

فقد روى عن القاسم بن محمد أن عائشة- رضى الله عنها- اشتكت فجاء ابن عباس يزورها فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله -ﷺ- وعلى أبى بكر.هـ

(البخاري جـ ٤ صـ ٢٢٠ ، والفرط من يتقدم الناس ويسبقهم ليرتاد لهم الماء)

وعن ابن أبى مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهى مغلوبة قال: أخشى أن يثنى على فقيل: ابن عم رسول الله -ﷺ- ومن وجوه المسلمين قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله -ﷺ- ولم ينكح بكراً غيرك ونزل عذرك من السماء ودخل ابن الزبير خلافه- أى بعده- فقالت:

دخل ابن عباس فأثنى على.. وددت أنى كنت نسيا منسيا.هـ البخاري جـ ٦ صـ ١٠ مغلوبة أى من شدة كرب الموت.. ونسيا منسيا: أى الشئ التافه الحقير..

ثانياً: أخبار تتعلق بعمر:

يحكى ابن عباس أخباراً تتعلق بعمر .. وكان كما قلنا قريبا منه.. فعنه يقول: قدم عيينه بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمر .. وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينه لابن أخيه: يا بن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه قال: ستأذن لك عليه قال ابن عباس:

فأستأذن الحر لعيينه فأذن له عمر.. فلما دخل عليه قال: هى يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل.. ولا تحكم بيننا بالعدل.. فغضب عمر حتى همَّ به.. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه -ﷺ- خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن هذا من الجاهلين قال:

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان واقفا عند كتاب الله.هـ

(البخاري جـ ٥ صـ ١٩٨)

قوله : هى بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد ، والجزل: العطاء الكثير.

ثالثاً: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

خطب عمر فذكر الرجم فقال: لاتحدن عنه فإنه حد من حدود الله.. ألا أن رسول الله -ﷺ- قد رجم ورجمنا من بعده ولولا أن يقول

قـــائلون: زاد عمر فى كتاب الله ما ليس منه لكتبت فى ناحية المصحف: شـــهد عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف وفلان، وفلان أن رسول الله -ﷺ- قـــد رجم ورجمنا بعده.. ألا وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالـــرجم وبالدجـــال وبالشـــفاعة وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا.هـــ .

(حياة الصحابة جـــ ٤ صـــ ٢٦٩ ، امتحشوا: احترقوا، وهم عصاة المؤمنين يخرجون من النار بعد أن يمسهم العذاب.هـــ)

وقد روى لنا ابن عباس أيضا: خطبة لعمر خطب فيها قبيل طعنه ووفاتـــه منصرفة من الحج ذكر فيها أن الرجم فى كتاب الله حق، وكيف تمت البيعة لأبي بكر -رضي الله عنه- في سقيفة بنى ساعدة.هـــ.

(البخاري جـــ ٨ صـــ ٢٥ - ٢٩ باختصار)

وكـــان لعمر عند ابن عباس تقدير وإعجاب خاص لذا كان يقول ابـــن عباس أكثروا ذكر عمر -رضي الله عنه- فإن عمر إذا ذكر ذكر العدل وإذا ذكر العدل ذكر الله.هـــ

(حياة الصحابة جـــ ٤ صـــ ٧٥)

رابعاً: زيارة علىّ -رضي الله عنه- لابن عباس، ورسالته إليه:

روى أن عليا- افتقد عبدالله بن عباس فقال: ما بال أبى العباس لـــم يحضر؟ فقالوا: ولد لـــه مولود.. فلما صلى على- رحمه الله- قال: امضـــوا بـــنا إلـــيه فأتـــاه فهـــنأه فقال: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب.. ما سميته؟ قال: أويجوز لي أن أسميه حتى تسميه؟ فأمر به

سادساً : موقف له مع زيد بن ثابت:

عن عمار بن ابى عمار: أن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ركب يوماً فأخذ ابن عباس -رضي الله عنه- بركابه فقال: تنح يا ابن عم رسول الله فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرنى يدك، فأخرج يده فقبلها.. فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.هـ.

(حياة الصحابة جـ ٣ صـ ٣)

وعن عمار بن أبى عمار قال: لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس في ظل القصر فقال:

هكذا ذهاب العلم.. لقد دفن اليوم علم كثير.. وقال أيضاً: هكذا يذهب العلم وأشار بيده إلى قبره، يموت الرجل الذى يعلم الشيء لا يعلمه غيره فيذهب ما كان معه.. وقال: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ هو ذهاب العلماء من الأرض.هـ (حياة الصحابة جـ ٣ صـ ٨٠٨)

سابعاً : حضوره احتضار عمرو بن العاص ووفاته:

قال ابن عباس: دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فدخل عليه عبدالله بن عمرو فقال له: يا عبدالله خذ ذلك الصندوق فقال: لا حاجة لى فيه، قال إنه مملوء مالاً، قال: لا حاجة لى به.. فقال عمرو: ليته مملوء بعراً قال: فقلت: يا أبا عبدالله إنك كنت تقول: أشتهى أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد؟

فكيف تجدك؟ قال: أجد السماء كأنها منطبقة على الأرض وأنا

بيـنهما.. وأراني كأنما أتنفس من خرت إبره أى ثقب إبرة ثم قال: اللهم خـذ مـني حـتى ترضى ثم رفع يديه فقال: اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برئ فاعتذر ولا قوى فانتصر ولكن لا إله إلا الله ثلاثا ثم فاظ . هـ أى خرجت روحه.هـ (المبرد بشرح المرصفي جـ ٣ صـ ١٩٦)

ثامناً : دعاء لابن عباس:

فعنه -رضي الله عنه- قال: إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو عليك فقـل: الله أكـبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا.. الله أعز مما أخاف وأحـذره أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك السموات السبع أن يقعن علـى الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجـن والإنـس.. اللهم كن لى جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك.. وتبارك اسمك ولا إله غيرك.. ثلاث مرات.هـ

(الحلية جـ ١ صـ ٣٢٢ وحياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى جـ ١ صـ ١٥٣)

تاسعاً: ابن عباس وحثه على طلب العلم:

عـن عكرمة قال: قال لي ابن عباس ولابنه على: انطلقا إلى أبى سـعيد فاسـمعا من حديثه فانطلقا فإذا هو فى حائط يصلحه فأخذ رداء فاحبتى ثم انشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال:

كـنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي -ﷺ- فيـنفض التراب عنه ويقول: ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. هـ (البخاري جـ ١ صـ ١١٥)

عاشراً: ابن عباس وجواب لملك الروم:

قال المبرد: حدثني بعض الهاشميين أن ملك الروم وجه إلى معاوية بقارورة فقال: ابعث إلى ما فيها من كل شئ فبعث معاوية إلى ابن عباس فقال: لتملأ له ماء فلما ورد بها على ملك الروم قال: لله أبوه ما أدهاه.. فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله -ﷻ- : ﴿وجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.هـ (شرح الكامل للمرصفي جـ ٥ صـ ٤٢)

الحادي عشر: موازرة ابن عباس لأسامه في دعوى له عند معاوية:

قال المبرد: وحدثت أن أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان في أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو: يا أسامة أتأنف أن تكون مولاى؟ فقال أسامة: والله ما يسرني بولائي من رسول الله -ﷺ- نسبك ثم ارتفعا إلى معاوية فلجا بين يديه في الخصومة.. فتقدم سعيد بت العاص إلى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة.. فتقدم الحسن إلى جانب أسامة يلقنه. فوثب عتبة بن أبى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع أسامة فقام عبدالرحمن بن أم الحكم فجلي مع عمرو فقام عبدالله بن جعفر فجلس مع أسامة فقال معاوية الجلية عندي حضرت رسول الله -ﷺ- وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم.هـ (شرح الكامل جـ ٥ صـ ٨)

الثاني عشر: محاربته للخرافات:

قال عكرمة: كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من

القوم خير خير فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر.هـ

(القرطبي جـ ٧ صـ ٢٦٦)

الثالث عشر: ابن عباس ورؤيا في النوم عند مقتل الحسين:

روى الإمام أحمد عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله -ﷺ- فى المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم.. فقلت: بأبي وأمى يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم قال عمار: فأصبحنا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل فى ذلك اليوم..

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن على بن زيد بن جدعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع أى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقال: قتل الحسين والله فقال له أصحابه: لم يا ابن عباس؟ فقال: رأيت رسول الله -ﷺ- ومعه زجاجة من دم فقال: أتعلم ما صنعت أمتى من بعدي؟ قتلوا الحسين وهذا دمه.. ودم أصحابه أرفعهما إلى الله.. فكتبت ذلك اليوم الذى قال فيه وتلم الساعة فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل فى ذلك اليوم وتلك الساعة.هـ

(البداية والنهاية.جـ ٨ صـ ٢٠٠)

الرابع عشر: رأيه في الخلفاء الأربعة:

عن عيسى بن طلحة.. قلت: لابن عباس: أخبرني عن أبى بكر: قال: كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب، قلت: أخبرني عن عمر:

قـال: كان كالطائر الحذر، قد علم أنه قد نصب لـه فى كل وجه حباله، وكـان يعمـل لكـل يـوم بما فيه على عنف السباق، قلت: اخبرني عن عـثمان، قـال: كان والله صواماً قواما لم يخدعه نومه عن يقظته، قال: قلـت: فصاحبكم- يعنى عليا- قال: كان والله مملوءا حلما وعلما غرته سـابقته وقرابته وكان يرى أنه لا يطلب شيئا غلا قدر عليه قلت: أكنتم ترونه محدودا؟ أى لا يوفق إلى صواب، قال: أنتم تقولون ذاك.هـ

(البيان والتبيين جـ ٣ صـ ٢٦٦)

الخامس عشر: من أقوال ابن عباس وبعض ما قيل فيه:

كـان ابـن عباس كما رأيت مدرسة جامعة للكثير من الفضائل والفقـه والعلـم وشتى العلوم الدينية والعربية إلى آخر ما ذكرنا.. فمن أقواله المشهورة وبعض ما قيل فيه ما يلي:

من أقواله:

لا تـزهد فى المعروف ، فلا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فإنه يشكرك عليه من لم تصنعه إليه، يريد الله -ﷻ- .هـ

(الكامل للمبرد جـ ٢ صـ ١٢٣)

حـق المجلـس: قال ابن عباس: لجليسى على ثلاث: أن أرميه بطرفى إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغى له إذا حدث.هـ

(المصدر السابق جـ ٢ صـ ٢٠٥)

إيـــناس الداخـــل: قـــال ابن عباس: إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية.هـــ (البيان والتبيين جـــ ٢ صـــ ٩١)

قضاء الحاجات: قال -رضي الله عنه- ما رأيت أحداً أسعفته فى حاجة إلا أضـــاء مـــا بيني وبينه ولا رأيت رجلا رددته عن حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه.هـــ (شرح الكامل للمبرد جـــ ٥ صـــ ٧٥)

اجتـــناب البغـــي: قال ابن عباس: لو أن جبلا بقى على جبل لدك الباغي.. وقال: ما ظهر البغى فى قوم قط إلا ظهر فيهم الموتان.هـــ (بضم الميم أى الموت الكثير الحلية جـــ ١ صـــ ٣٢٢)

اصـــبر تـــنل ما قدر لك من الحلال: فى الحلية لأبي نعيم عن ابن عباس قـــال: ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى لبه رزقه من الحلال فـــإن صبر حتى يأتيه أتاه الله تعالى.. وإن جزع فتناول شيئا من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال.هـــ (جـــ ١ صـــ ٣٢٦)

أحـــب أن يـــرفع عملى وأنا صائم: عن سعد بن أبي سعيد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: يا ابن عباس: كيف صومك؟ قال أصـــوم الاثنين والخميس قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال نرفع فيهما فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم.هـــ سير أعلام النبلاء.

(جـــ ٣ صـــ ٢٣٠ والحلية جـــ ١ صـــ ٣٢٨)

قـــراءة القـــرآن مـــع التفكر: قال ابن عباس:لأن أقرأ البقرة فى ليلة وأتفكر فيها أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذرمة.هـــ أى سريعاً وبدون تفكر.

القـربة فى نظر ابن عباس: قال ابن عباس: لأن أعول أهل بيت مـن المسـلمين.. شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلى من حجة بعد حجة.. ولطبق بدقائق أهديه إلى أخ لى فى الله أحب إلى من دينار أنفقه في سبيل الله -ﷻ- .هـ (صفة الصفوة جـ ١ صـ ٧٥٤)

وصـفه للدينار والدرهم على لسان إبليس: قال ابن عباس: لما ضـرب الديـنار أخـذه إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقـرة عينـي لك أطغى وبك أكفر وبك أدخل الناس النار رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك هـ (الحلية جـ ١ صـ ٣٢٨)

إن خير هذه الأمة أكثرها نساء: عن سعيد بن جبير قال: قال لى ابـن عـباس: هـل تزوجت؟ قلت: لا ، قال: فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء.هـ البخاري والمراد بخير هذه الأمة النبي -ﷺ- .هـ

ترغيـبه فـى العلم: عن على الأزدى قال: سألت ابن عباس -رضي الله عنهما- عـن الجهاد فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد. تجئ مسجداً فتتعلم فيه القرآن والفقه فى الدين أو قال: السنة.هـ وعنه قال: تبني مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبي -ﷺ- والفقه فى الدين.هـ

(حياة الصحابة جـ ٣ صـ ٦٤٢ هـ هذه بعض أقواله..)

بعض ما قيل فيه:

ثـناء عمر بن الخطاب عليه: ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلـس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول نعم: ترجمان القرآن ابن

عباس، وقال لـــه يوماً: أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة . هـــ

(حياة الصحابة جـ ٣ صـ ٧٩٦)

وقـــال عمـــر لابن عباس: لقد علمت علما ما علمناه.. وقال له أيضاً: إنك لأصبح فتياننا وجها وأحسنهم عقلا وأفقههم فى كتاب الله.هـــ

(البداية والنهاية جـ ٨ صـ ٢٩٩)

وقال عمر: لا يلومنى أحد على حب ابن عباس.هـــ

(سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٣٢)

وقالت فيه عائشة: هو أعلم الناس بالحج.هـــ

(الإصابة جـ ٤ صـ ٩٣)

وعـــن عبدالله بن دينار: أن رجلاً سأل ابن عمر عن قوله تعالى: كانـــتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب إلى ذلك الشيخ فسله ثم تعالى فاخبرني فذهب إلى فسأله فقال:: كانت السموات رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تنبـــت ففـــتق هذه بالمطر وهذه بالنبات.. فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال: لقد أوتى ابن عباس علما صدقا.. (الإصابة جـ ٤ صـ ٩٢)

وقال سعيد بن جبير: كنت أسمع الحديث من ابن عباس فلو يأذن لى لقبلت رأسه..

وقـــال سفيان بن عيينة: لم يدرك مثل ابن عباس فى زمانه، ولا مـــثل الشـــعبي فـــى زمانه، ولا مثل الثورى فى زمانه، ولقد سقنا كثيرا مـــن أقـــوال ابـــن عـــباس وأفعاله وصفاته وحياته العلمية والسياسية وأيضا جهاده..

وإنـــى لأخـــتم هـــذا البحـــث المبســـط فى هذه الشخصية الفذة الـــنادرة الموهوبـــة الـــتى ملأت الدنيا ومازالت علما وكل علم، والذى

ظـل ينشر العلم والمعرفة في الأمة الإسلامية قرابة ستين عاماً من وفاة رسول الله -ﷺ- .

نعـم ثم مات ابن عباس بعد حياة كلها خير وبركة وبعد أن خدم الإسلام وتتلمذ عليه العديد من التابعين ..

قـال فـيه محمد بن الحنفية بعد أن صلى عليه وغيب جسده في الأرض: اليوم مات رباني هذه الأمة ودفن في الطائف.

وقال فيه معاوية: مات والله أفقه من مات ومن عاش.هـ

رضـي الله عـن ابـن عـباس ولا يسعني إلا أن أقول نعم من المؤمنين رجال..

ونسأل الله التوفيق والسداد،،،

- البخاري
- فتح الباري
- صحيح مسلم
- مسند أحمد
- تفسير الحافظ بن كثير
- فتاوى ابن تيمية
- البداية والنهاية لابن كثير
- سيرة ابن هشام
- سنن أبو داود
- الفخر الرازي
- تفسير الزمخشري
- الدر المنثور
- تفسير ابن جرير الطبري
- سنن الدارمي
- ديوان شوقى
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- الحلية لابن نعيم
- الإصابة لابن حجر فى تمييز الصحابة
- شرح الكامل للمبرد
- حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- القرطبي
- وغير ذلك من المراجع.

المحتويات

مقدمة ثم الباب الأول وفيه فصلان:

الفصل الأول: اسمه ونسبه

الفصل الثاني: إسلامه – هجرته – صفته – لباسه – إلخ

الباب الثاني وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: جهاده – صبره

الفصل الثاني : صحبته لرسول الله -ﷺ- ..إلخ

الفصل الثالث: خصائص لابن عباس

الباب الثالث: وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: صحبته لعمر

الفصل الثاني: جوانب شخصيته المتعددة

الفصـــل الثالث: مكانته العلمية – فقهه – مكانته في التفسير ثم في الحديث

الفصل الرابع: موقفه السياسي – وشخصيته السياسية

الفصل الخامس : نماذج من أخبار ابن عباس..